عِلَلُ التَّعْبِيرِ الْقُرآنِيِّ -الأَسالِيبُ وَالْجُمل- في تَفْسِيرِ (بَيَانُ السَّعَادَةِ فِي مَقَامَاتِ الْعِبَادَةِ) لِلْجَنَابُذِيِّ

م٠م٠ابهر هادي محمد

كلية التربية الرياضية-السماوة

فحوى البحث

تناولت هذه الدراسة الموسومة بـ(علل التعبير القرآني –الأساليب والجمل –في تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة للجنابذي) البحث عن سبب (علة) إيثار بعض الاساليب والجمل على غيرها، فوقف الباحث على التعليلات التي وجهها صاحب التفسير، مبينا إياها أحيانا، ومقارنا لغيرها من أصحاب التفاسير احيانا أُخر، وبما أن الدراسة تناولت الأساليب والجمل لذا قُسّمت على مبحثين، وُسِم الأول بـ(علل التعبير في الأساليب)، اما (علل التعبير في الجمل) فكان عنوانا للثاني ثم تلتهما الخاتمة، وصُدِّر البحث بمقدمة وتمهيد، وذّيل بقائمة طويلة لروافد البحث قمنا باختصارها–فمعذرة للسيد الباحث.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة:

اَلْحَمْدُ للهِ اَلَّذِي جَعَلَ اَلْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ، وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ، وَدَلِيلاً عَلَى آلاَئِهِ، وَالصَّلاةُ عَلى رَسُولِهِ نَبيّ الرَّحمَةِ وإمام الأئمَّةِ وَسِراج الأُمّةِ وعلى آلِهِ الطَّيبينَ الطَاهِرينَ.

يبقى القرآن الكريم في كل الأوقات معين الباحثين الـذي لا ينضب على اختـلاف تخصصـاتهم ومسـتوياتهم، فكل باحث وبخاصة في العلوم الأدبية والإنسـانية يقف وبـين يـديه الكتاب العزيز مفكرا ومستوحيا، راجيا من الله تعالى أن يرزقه شذرة الاستنطاق من هذا الكتاب الـذي يضم بين دفتيه علم كل شيء، مستحضرا قول أمير المؤمنين عليه السلام: "ذَلِكَ اَلْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَ لَنْ يَنْطِقَ وَ لَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ أَلاَ إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي وَاَلْحَدِيثَ عَنِ اَلْمَاضِي وَ دَوَاءَ دَائِكُمْ وَ نَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ..."[1].

ضمت هـــذه الدراسة الموسومة بـ **((علل التعبير القـــــرآني -الأساليب والجـمـل-في تفسير بـيـان الـسـعـادة في مقامات العبادة للجانبذي))**:

البحث عن إيثار بعض الأساليب والجمل دون بعض التي ربما تكون أقرب إلى ذهن قارئ القرآن، وقد رصد الباحث علة العدول والإيثار عن هذه التعابير التي تنحو في اغلبها إلى علل لغوية بلاغية توصل إليها المفسر من خلال ذائقته في فهم العبارة القرآنية، واقتصرت الدراسة على الأساليب والجمل لسعتها في هذا التفسير، وانتقى الباحث مثالين من كل نوع؛ لئلا يزيد البحث عما هو متعرف عليه، ومنبها في الوقت نفسه إلى إحصاء باقي الشواهد، فكانت الدراسة على مبحثين، وسم المبحث الأول (علل التعبير في الأساليب)، أما المبحث الثاني فكان (علل التعبير في الجمل)، ثم تلا المبحثين نتائج البحث، ويَقدِم ذلك كله مقدمة ومهاد يشير إلى التعريف بكتاب التفسير وصاحبه.

التمهيد:

نبذة مختصرة عـــن حياة المؤلف: أمّا

(١) بهج الصياغة في شرح نهج البلاغة، التستري: ١٣/ ٧١.

اسمه الكامل فهو سلطان محمد بن حيدر محمد بن سلطان محمد بن دوست محمد بن نور محمد بن الحاج محمد بن الحاج قاسم البيدختي الجنابذي الخراساني، ولد في الثامن والعشرين من شهر جمادي الأولى سنة (١٢٥١ هـ)، وتوفي في ليلة السبت السادس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة (١٣٢٧ هـ)، وهو من مدينة (جنابذ) الواقعة في مقاطعة خراسان، واليها نسب، بادر في حداثة سِنّه بتعلم القرآن، ثم سافر إلي مدينة مشهد طلباً للعلوم الأدبية، ثم إلي النجف الأشرف لأخذ العلوم الدينية، ثم إلي مدينة سبزوار لأخذ العلوم العقلية من الحكيم الشهير الحاج ملاّ هادي السبزواري (١٢٨٩هـ)، ثم ترك سبزوار متوجهاً إلى أصفهان طالباً العارف الشهير الحاج محمد كاظم الملقب بسعادة علي شاه فتلقي الأذكار القلبية، ولما كان الجانبذي شديد العلاقة بشيخه سعادة علي شاه فقد اطلق اسمه على ثلاثة من مؤلفاته، وهي: سعادتنامه، بيان السعادة، مجمع السعادة[٢].

(٢) ينظر: تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة: ٤/ ٢٨٨، والتفسير والمفسرون، الذهبي: ٢/ ١٤٧، والذريعة إلى تصانيف الشيعة، الشيخ آقا برزكك الطراني: ٣/ ١٨١.

نبذة مختصرة عن التفسير:

الاسم الكامل لهذا التفسير هو (بيان السعادة في مقامات العبادة) مثلما نص عليه المفسر في مقدمة كتابه، وهو مطبوع في أربع مجلدات من الحجم الكبير، أنهى تأليفه سنة (١٣١١هـ)[٣] وقد نص المفسر أيضا على السبب الداعي إلى هذا التأليف قائلا: «وقد كنت نشيطاً منذ أوان اكتسابى للعلوم وعنفوان شبابي بمطالعة كتب التفاسير والأخبار ومدارستها، ووفقني الله تعالى لذلك، وقد كان يظهر لي في بعض الأحيان من إشارات الكتب وتلويحات الأخبار لطائف ما كنت أجدها في كتاب، ولا أسمعها من خطاب، فأردت أن أُثبتها في وريقات، وأجعلها نحو تفسير للكتاب، لتكون تذكرة لي ولإخواني المؤمنين، وتنبيهاً لنفسي، ولجملة الغافلين»[٤].

(٣) ينظر: بيان السعادة: ٤/ ٢٨٨، و معجم المؤلفين، عمر كحالة: ٩/ ٢٧٥.

(٤) بيان السعادة: ١/ ٢.

وقد تصدّر هذا التفسير أربعة عشر فصلا بُيّن فيها بعض المفاهيم من مثل: العلم والجهل، وعلاقتها بالأنانية، والتلازم بين العلم والعمل، ثم بيان فضل القرآن والتوسل به، وكيفية قراءته، ومراتب القرّاء، زيادة على ذلك تضمّنت بعض الفصول بيان المفاهيم التي لا بد للمفسر معرفتها من مثل التنزيل والتأويل، و المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، ثم فُصّل القول في أن القرآن له وجوه وغيرها من الأمور.

وممّا يلحظ أيضا في هذا التفسير أن المفسر يذهب في بيان بعض الآيات مذهب اهل المنطق والفلسفة والعرفان، ففي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[سورة البقرة: ٩٩]، استعمل القياس المنطقي من الشكل الأول بعد أن استخرج القضية الصغرى والكبرى، فقال: «قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾ إلى آخر الآية إشارة إلى صغرى قياس من الشكل الأول، وقوله: ﴿ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ ﴾ إلى آخرها إشارة إلى كبرى قياس آخر من الشكل الأول ترتيبها هكذا: أنت رسول من الله بالآيات، وكل رسول معه آيات، عدوه كافر به وبآياته من حيث رسالته فأنت عدوك كافر بك وبآياتك، وكل كافر بك وبآياتك فاسق، فأنت عدوك فاسق»[٥].

أمّا في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فيذهب المفسر مذهب أهل الفلسفة ليبين حقيقة الأحدية إذ يقول: «والواحد المتباين الذي لا ينبعث من شيء، ولا يتحد بشيء، ومن ثم قالوا إن بناء العدد من الواحد وليس الواحد من العدد لان العدد لا يقع على الواحد، بل يقع على الاثنين...»[٦].

وقد حظي الجانب العرفاني بالعناية في كثير من مواطن التفسير، إذ ثمّة أبحاث عرفانية قد أشار لها المفسر، مستشهدا بالأشعار الفارسية للشاعر الكبير مؤسس السلسلة المولوية المولى جلال الدين الرومي المولوي (٦٧٢ هـ).

(٥) بيان السعادة: ١/ ١١٨.
(٦) نفسه: ٤/ ٢٨٣.

وممّا جاء في الجانب العرفاني، منبها على رحلة المكاشفة لدى العرفاء ما قاله في تفسير الحروف المقطعة في القرآن تحت عنوان (تحقيق جريان الحروف المقطعة على لسان المنسلخ عن هذا البيان) فيقول: «وما قيل: إنّ كل حرف من القرآن في الألواح العالية أعظم من جبل أحد؛ صحيح عند هذا الاستشعار أو التحقيق، وقد يتحقق الإنسان بالمراتب العالية، أو يستشعر بها أولا ثم ينزل من تلك المراتب على بشريته الكلمات التي هي رقائق ما يظهر عليه من الحقايق في تلك المراتب، وقد نقل عن بعض انه كان إذا سمع كلمة دالة على المعاني العالية أو ذكر كلمة كذلك يأخذه الغشي وينسلخ من بشريته، وربما كان يتكلم حين الغشي بالحقائق الإلهية...»[٧].

لذا عدّ بعضهم أن هذا التفسير هو من التفاسير العرفانية، فقال: «وإنّي لأظن أنّ من لا خبرة له بالإشارة والرموز العرفانية لا يستطيع فهم هذا التفسير، بل على القارئ أن يكون له إلمام بهذه الرموز، والإحاطة بالأحاديث الشيعية للاستفادة من هذا التفسير، فهو تفسير عرفاني مشحون بالأبحاث العرفانية»[٨].

أما الدكتور محمد حسين الذهبي فقد عدّه حينا من المتصوفة، ولكنه حينا آخر نسب القصور إلى نفسه في عدم فهمه للتفسير لعدم الإحاطة برموز القوم (يعني الشيعة)؛ فقال ما نصه: «والذى يقرأ هذا الكتاب ويتتبع ما فيه من الشطحات الصوفية العميقة في إدراكها، الغريبة في لفظها وأسلوبها، مراده ومراميه. وأنا إذ أحكم على الكتاب هذا الحكم لا أكون مغالياً ولا متجنياً فيما حكمت، فكثيراً ما قرأت فيه العبارة المرة بعد المرة، ولا أخرج منها إلا بالمعنى القاصر المبتور، بعد أن يرتد إليَّ البصر خاسئاً وهو حسير، ويرجع الذهن عاجزاً عن الفهم وهو كليل.. وربّما أكون واهماً في هذا الحكم، لقصور معرفتى باصطلاحات القوم، وعدم وقوفي على أُصول مذهبهم ومرامي رموزهم التي يرمزون بها.. ولو تيسر لي ذلك لجاز أن يكون لي حكم على

(٧) بيان السعادة: ١/ ٣٨.

(٨) ن.م.

هذا التفسير مغاير لهذا الحكم، ورأى فيه مخالف لهذا الرأي... »[٩].

والـــذي يعنينا من التفسير هنا هو الجانب اللغويّ ففيه يلحظ أن للمفسر ذائقة لغويّة بلاغيـــة يمكن تلمسها مـــن خلال الشواهد التي استخرجت مـــن التفسير، مبينا العلة اللغوية فيها، التي -غالبا -لا تلحظ بذاتها عند باقي المفسرين.

وما يلحظ في هذا التفسير زيادة على ذلك -فيما يخص الجانب اللغوي -أن المفسر يتعرض لكل المعاني المحتملة بحسب الوجوه الإعرابية، من ذلك ما جاء في قوله تعالى مثلا: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾[سورة البقرة: ٨٣]، فقال في ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾: «أمثال هذه العبارة تستعمل على ثلاثة أوجه بعد ذكر اخذ الميثاق، الأول: على صورة الأخبار ايجابا أو نفيا، والثاني: أن تكون على صورة الإنشاء أمرا أو نهيا، والثالث: أن يكون الفعل عقيب لفظ أن، وقد قرء ههنا بالوجوه الثلاثة، فان كان على صورة الإخبار، فإما أن يكون بمعنى الإنشاء بتقدير القول، أي أخذنا ميثاق بني اسرائيل قائلين: لا تعبدوا، ويؤيد هذا الوجه عطف قولوا، وأقيموا، وآتوا عليه، وإمّا بمعنى الإخبار بتقدير أن المصدرية والمعنى أخذنا ميثاقهم على أن لا يعبدوا، أو يكون بدلا من الميثاق، ولا إشكال على قراءة لا يعبدوا بالياء، وأمّا على قراءة لا تعبدوا بالتاء فهو على حكاية الحكاية الماضية من غير تغيير أو هو بمعنى الإخبار على الحالية، والمعنى أخذنا ميثاقهم حال كونهم لا يعبدون، أو حال كونهم قائلين لهم لا تعبدون إلّا الله»[١٠].

المبحث الأول

علل التعبير القرآني في الأساليب البلاغية:

الأسـلـوب هـو «الـطـريـق والـوجـهُ

(٩) التفسير والمفسرون: ٢/ ١٤٨.

(١٠) بيان السعادة: ١/ ١٠٨.

والمَـذْهَـبُ يقال أَنتم في أُسْـلُـوبِ سُوءٍ ويُجمَعُ أساليب والأسلوب الطريقُ تأْخذ فيه والأسلوب بالضم الفَنُّ يقال أَخَذ فلانٌ في أساليب من القول أَي أَفانِينَ منه»[11]، إذن فما يراد دراسته هنا هي فنون البلاغة التي عبر عنها البلاغيون بالأساليب[12].

ويتناول هذا المبحث بالدرس بعض الأساليب التي تناولها علماء البلاغة من علمي المعاني والبديع، واختار الباحث الأساليب التي كثرت شواهدها في هذا التفسير، والتي يزيد كل واحد منها على عشرين موضعا، مع التنبيه على إحصاء الشواهد لكل أسلوب في الحاشية عند كل عنوان منها، وما قل عن ذلك فقد ذُكِر في نهاية هذا المبحث.

أمـا أساليب علم البيان فقد نبه البـاحـث إليها في نهـايـة هـذا المبحث وسبب عدم ذكرها.

والأسـاليـب التي وردت في هذا المبحث فهي بحسب الكثرة كالآتي:

١. أسلوب التقديم والتأخير.
٢. أسلوب التكرار.
٣. أسلوب الالتفات.
٤. أسلوب الفصل والوصل.
٥. أسلوب التخصيص.
٦. أسلوب الحذف.

١. **أسلوب التقديم والتأخير**[13]:

لا يخفى على الـدارسـين أنّ هـذا الأسـلـوب يعد أحـد أساليب البلاغة الـذي هو «كثيرُ الفوائد جَـمُّ المحاسن واسعُ التصرُّف بعيدُ الغاية. لا يزالُ يفتَرُّ لك عن بديعةٍ ويُفضي بكَ إِلى لطيفةٍ. ولا تزالُ ترى شِعراً يروقُك مسمَعُه ويَلْطُف لديك موقعُه ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أنْ

(١١) يُنظر: لسان العرب: ٣/ ٢٠٥٨ (سلب).
(١٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ٢/ ٣٨٤.

(١٣) ومن شواهد هذا الأسلوب التي ذكرها المفسر وهي: بيان السعادة: ١/ ٢٥، ١/ ٥٥، ١/ ٥٢، ١/ ٥٣، ١/ ٥٧، ١/ ١٠٣، ١/ ١١١، ١/ ١٩١، ١/ ٢٥٠، ١/ ٢٥١، ١/ ٢٦٩، ١/ ٢٩٤، ١/ ٢١٥، ١/ ٢٢٦، ١/ ٢٣٣، ٢/ ١٦٢، ١/ ٣١٢، ٢/ ١٩، ٢/ ٤٤، ٢/ ١٢٠، ٢/ ١٢٢، ٢/ ١٣٠، ٢/ ٢٦٦، ٢/ ٢٩٠، ٢/ ٣٠٨ -٣٠٩، ٢/ ٤٣٥، ٣/ ١٦ -١٧، ٣/ ١٠٧، ٣/ ٢٥٨، ٤/ ١٥، ٤/ ١٧٥، ٤/ ٢٣٨، ٤/ ٢٦٠، ٢/ ٣٠٥.

راقك ولُطف عندك أن قُدِّم فيه شيءٌ وحُوِّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان»[١٤]، وذكر العلماء له تعاريف شتى، زيادة على أقسامه الكثيرة المتنوعة، أشارت إليها كتب البلاغة[١٥]، زيادة على الكتب التي اهتمت بالتعبير القرآني[١٦] يضيق المقام عن ذكرها جميعا؛ ولئلا يثقل كاهل البحث، لذا ارتأى الباحث أن ينتخب مثالين أحدهما في تقديم الجملة، والآخر في المفرد، متجنبا عما دار على ألسنة المفسرين والبلاغيين[١٧]، وشاع ذكره، من مثل تقديم السارق على السارقة في قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[سورة النور: ٢].

- **تقديم جملة على جملة:**

فمن مواطن التقديم والتأخير التي ذكرها المفسر ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[سورة البقرة: ٧٢]، فالأصل في هذه القصة هو قتل النفس، ثم طلبوا من موسى عليه السلام أن يبين له أمر القاتل، فأمرهم موسى عليه السلام بذبح البقرة، أي أن الأمر بذبح البقرة كان نتيجة قتل النفس، لكنه أخر هذا وقدم ذاك، وقد لحظ الجنابذي هذا الأسلوب فعلله قائلا: «وكان حق هذا أن يذكر مقدما على قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٦٧] إلى آخر الآية، لكنه فكك، وقدم ذلك، وأخر هذا؛ لان المقام لبيان مساويهم، وبيان المساوي في ذلك كان اتم، ونوعها أكثر فان فيها ذكرا لإنكارهم لموسى عليه السلام واستهزائهم بالأمر بقياسهم الفاسد

(١٤) دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٤٣.

(١٥) ينظر: الطراز لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الايجاز، يحيى بن حمزة العلوي: ٢/ ٥٧ -٧٧، البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٢٣٣ -٢٥٣، و أساليب المعاني في القرآن، جعفر الحسيني: ٣٠٨ -٣٣٥.

(١٦) التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي: ٤٩-٧٤.

(١٧) ينظر: من بلاغة القرآن، د. احمد احمد بدوي: ٩٣.

حيث قالوا: كيف يكون ملاقاة عضو ميت لميت سبب الحياة؟. والاستقصاء في السؤال»[١٨]، ويكاد يكون جل المفسرين الذين تنبهوا إلى هذا الملحظ من التقديم والتأخير يؤكدون أن تغيير الترتيب هذا كان مفاده أن يجعل لكل منهما توبيخا وتقريعا، ولو سيقت على غير ذلك، أي على الترتيب من غير تقديم وتأخير فتظهر كأنها قصة واحدة وتذهب النكتة من تثنية التقريع[١٩]، زيادة على ذلك أن التقديم والتأخير الذي استفيد منه تكرار الإهانة لهم، يستفاد منه أيضا تعدد مساوئ بني إسرائيل وكثرتها، قال أبو السعود (٩٨٢هـ): «إن تغييرَ الترتيبِ هناك للدِلالة على كمال سوءِ حالِ اليهودِ بتعديد جناياتِهم المتنوعةِ وتثنية التقريعِ عليهم بكل نوع على حدة»[٢٠].

- تقديم لفظ على لفظ:

ومن أسلوب التقديم والتأخير في المفردات ما جاء في قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴾ [سورة طه: ٤].

إن الذي يلحظ في كثير من أي الذكر الحكيم غالبا تقديم السماوات على الأرض إذ قد تربو مواطن التقديم إلى تسعة وستين بعد المائة، أما عكس ذلك وهو تقديم الأرض على السماوات فربما لا تتجاوز خمسة مواطن [٢١]، منها ما تقدم في سورة طه، وقد تنبه الجنابذي معللا هذا التقديم قائلا: «وتقديم الأرض على السماوات مع أنها أشرف وأقدم من الأرض؛ لمراعاة رؤوس الآي؛ ولأنّ الآية لبيان تشريف التنزيل بإضافته إلى من هو وسيع الخلق قوي القدرة وهذا المعنى يقتضي الترقي من الأدنى إلى الأقوى، ولتقدم الأرض على السماوات في العالم الصغير وفي الأنظار الحسية»[٢٢]، فالمفسر مثلما يلحظ هنا انه

(١٨) بيان السعادة في مقامات العبادة.
(١٩) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي: ١/ ١٠١، والسراج المنير، الشربيني: ١/ ٦٦.
(٢٠) تفسير أبي السعود، : ٤/ ٢١٤.
(٢١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي: ٣٦٤-٣٦٦.
(٢٢) بيان السعادة: ٣/ ١٦ -١٧.

أوزع هذا العدول إلى جملة من الأسباب.

أولاها: النغم الصوتي لآي الذكر الحكيم مع ما يسبقها ويلحقها، قال تعالى: ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۝٤ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ وهو ما نص عليه صاحب تفسير البيان[٢٣]، إلّا أن أبا السعود جعل هذه العلة بسبب تخصيص وصف السموات بالعلا إذ قال «ووصفُ السمواتِ بالعُلا وهو جمعُ العليا تأنيثُ الأعلى لتأكيد الفخامةِ مع ما فيه من مراعاة الفواصل»[٢٤]، وقد كانت هذه العلة الأخيرة (مراعاة الفاصلة) دفعت احد الباحثين -حين أحصى مواضع التقديم والتأخير بأنواعه المختلفة في الفاصلة القرآنية، والتي تربو على ثلاثة وثمانين وثمانمائة موضعا -إلى أن يستنتج زيادة على النكات البلاغية الذي أضفاه هذا الأسلوب، أفاد أيضا في مواضع كثير قيمة موسيقية وتحقيق غاية صوتية أسلوبية[٢٥]، شريطة أن لا يفهم أن العلة الصوتية هي علة بذاتها فتحقق لأجلها التقديم والتأخير، وبعبارة أخرى: إن القرآن الكريم لا يراعي الفاصلة على حساب المعنى، وإنّما يراعي المعنى مع مراعاة الفاصلة[٢٦].

ثانيها: وثاني هذه الأسباب التي ذكرها المفسر وهو: إنّ في هذا التقديم والتأخير هو صعود وترقي من الأدنى إلى الأعلى، وهو يتناسب مع عدم محدودية الخالق، وقدرته على كل شيء.

ثالثها: إنّ الأرض متقدمة في الوجود على خلق السموات والأرض وهو ما أشار إليه الالوسي (١٢٧٠هـ) مستدلا بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ ﴾ [سورة البقرة: ٢٩][٢٧].

(٢٣) ينظر: مجمع البيان، الطبرسي: ٧/ ٤.
(٢٤) تفسير أبي السعود: ٦/ ٤.
(٢٥) ينظر: من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، د. حمد السيد سلمان العبد: ٩٨-١٠١. بحث منشور في المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد: ٣٦، المجلد: ٩.
(٢٦) ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها: ٤٩-٥٠، والتعبير القراني: ٢١٧.
(٢٧) ينظر: روح المعاني، الالوسي: ١٦/ ١٥٢.

ورابع هذه الأسباب هو: انّ كل من لديه إدراك حسي يشعر أولا بوجود هذه الأرض ثم يدرك بعد ذلك تبعا لغيرها، وقد أشار له بعض المفسرين قائلا: « وبدأ بخلق الأرض والسموات لأنها أصول العالم وقدَّم الأرض؛ لأنها أقرب إلى الحس»[٢٨].

وقد زاد بعض المفسرين ملحظا آخر وهو أن ذكر الأرض والسموات لم يقيد بـ (ما بينهما) مثلما جاء بعدها قال تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾[سورة طه: ٦]، أو غيرها من الآيات قائلين «إذ لا غرض يتعلق بما بينهما وإنما الغرض بيان مبدأ التنزيل و منتهاه»[٢٩].

٢. أسلوب التكرار[٣٠]:

عد بعضهم أن هذا الأسلوب ليس من البلاغة في شيء لذا قال الزركشي (٧٩٤هـ) في البرهان: «وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة ظناً أنه لا فائدة له، وليس كذلك، بل هو من محاسنها، لاسيما إذا تعلق بعضه ببعض، وذلك أن عادة العرب في خطاباتها إذا أُبهمت بشيء إرادة لتحقيقه، وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء كررته توكيداً، وإنما نزل القرآن بلسانهم، وكانت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم وبعض، وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة»[٣١].

وللتكرار أنواع: منها ما يتعلق بالمفرد، ومنها ما يخص الجمل، وكلاهما ينقسم إلى أقسام وفروع تشير إليها كتب البلاغة[٣٢]، لا يود الباحث الإطالة

(٢٨) هميان الزاد.

(٢٩) الميزان، الطباطبائي: ١٤/ ٩٨، وينظر: الأمثل، مكارم شيرازي: ٩/ ٥٢٦.

(٣٠) ومن شواهد هذا الاسلوب التي ذكرها المفسر وهي: ١/ ٥٣، ١/ ٩٨، ١/ ١٤٢، ١/ ١٤٩، ١/ ١٨٢، ١/ ١٩٣، ١/ ٢٧٣، ٢/ ١١، ٢/ ٧١، ٢/ ١١٨، ٢/ ١٣٩، ٢/ ١٤٦، ٢/ ١٩٥، ٢/ ٢١٦، ٢/ ٢١٨، ٢/ ٢١٩، ٢/ ٢٣٦، ٢/ ٢٤٦، ٢/ ٢٤٧ -٢٤٨، ٤/ ٢٦٢، ٢/ ٢٧٤، ٢/ ٣٠٧، ٢/ ٣٠٨ -٣٠٩، ٢/ ٣١٣، ٢/ ٣٢٤، ٢/ ٣٣١، ٢/ ٣٣٢، ٢/ ٣٣٨، ٢/ ٤٥٦، ٣/ ٢٤، ٣/ ١٤٤، ٣/ ١٧٨، ٤/ ٢٣٩، ٤/ ٢٧٨ -٢٧٩.

(٣١) البرهان في علوم القرآن: ٣/ ١٢.

(٣٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٨-٢٥.

بذكرها، وكذلك أن للتكرار فوائد ربما أحصاه البلاغيون[٣٣]، لكن ثمة معان وفوائد أخر قد يلتمسها أصحاب التفاسير، وقد لحظ عند المفسر شواهد كثيرة في هذا الأسلوب قد وقف عندها معللا إياها حسب ما تُملي عليه ذائقته البلاغيّة مع لحاظ السياق المورد لها.

- **تكرار جملة:**

ومما جاء في تكرار الجمل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعًا ﴾[سورة الإسراء: ١٠٧ -١٠٩]، وقد جعل المفسر هذا التكرار في قوله﴿ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ ﴾لتأكيد مدحهم إذ قال «كرره للتأكيد المطلوب في مقام المدح»[٣٤]، فمقام الآيات المتقدمة الثناء على أهل العلم وبيان حالهم، فاقتضى هذا المدح أن يكرر فعلهم ليؤكده وفق ما يليق بحالهم، علما أن تكرار الفعل ومتعلقاته مع أن الخرور بهذه الكيفية كان واحد مع اختلاف الحالين (ساجدين باكين)؛ ليدل على تعدد الأحوال التي هم عليها في حال السجود[٣٥]، مضفيا بذلك التأكيد والاستمرار[٣٦]، وبعبارة أخرى: إن تعدد الأحوال لا يعني أن يكونوا مرة في سجودهم هكذا، ومرة هكذا، بل هي حال واحدة نظير ما ذهب بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٠]، قائلا: «... حدثني يونس، قال:... في قوله: ﴿ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ ﴾، قال: خوفا وطمعا، قال: وليس ينبغي لأحدهما أن يفارق الآخر»[٣٧]، أي «إنهم يدعون في وقت تعبداتهم، وهم بحال رغبة ورجاء،

(٣٣) ينظر: نفسه: ٣/ ٨ -٢٥، وأساليب المعاني: ٤٩٥ -٥٠٠.

(٣٤) بيان السعادة ٢/ ٤٥٦.

(٣٥) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي -في احد الوجوه -: ٢١/ ٤١٧، والتحرير والتنوير/ ابن عاشور: ١٥/ ٢٣٥.

(٣٦) ينظر: الامثل، مكارم: ٩/ ١٧٤.

(٣٧) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري: ١٨/ ٥٢١.

ورهبة وخوف في حال واحدة...»[٣٨]، أي أنّ العطف بين الوصفين لا يدل على تعدد وتغاير، بمعنى أن يكونوا مرة في دعوتهم راغبين، ومرة راهبين، بل هم في وقت واحد يعيشون الرغبة والرهبة، لا تنفك إحداهما عن الأُخرى، كامتزاج الأخبار في قولهم: هذا حلو حامض، فلا يصح الإخبار بأحدهما، فالجميع خبر واحد[٣٩].

أمّا الذي يذهب إلى أنّ هذا التكرار هو نتيجة اختلاف السبب، فيعد هذا التكرار هو ليس من باب التأكيد، قال أبو السعود: «كرر الخُرورَ للأذقان لاختلاف السبب فإن (الأولَ) لتعظيم أمر الله تعالى أو الشكرِ لإنجاز الوعدِ (والثاني) لِما أثّر فيهم من مواعظ القرآنِ حالَ كونِهم باكين من خشية الله»[٤٠].

وفي الآية علل أُخر من قبيل إيثار (سجدا) على (ساجدين)، وإيثار الاسم في الجملة الأولى، وذكر الفعل في الثانية[٤١] ليس المقام بيانها.

- **تكرار مفرد:**

ومنه التكرار في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ﴾ [سورة الفرقان: ٤٧]، ففي هذه الآية لم يقل مثلا (جعل لكم الليل لباسا وجعل النوم سباتا وجعل النهار نشورا)، أو انه ترك تكرار (جعل) وذكرها مرة واحدة، وقد علل الجنابذي ذلك قائلا: «ولما كان المقام للامتنان بتعداد النعم، وتكرار النعم والبسط فيها كان مطلوبا كرر جعل ههنا، ولما كان النوم من نعم الليل كأنّه لم يكن نعمة على حيالها لم يكرر جعل هناك»[٤٢]، أي أن قوله تعالى ﴿ وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا ﴾ هي آية أيضا من آيات الله، لكن هذه الآية مستفادة من آية الليل فكانت كلها آية واحدة، ولما عدل عن الكلام عن هذه الآية وجيء بأخرى وهي آية النهار كرر (جعل) هنا

(٣٨) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي: ٣/ ٦٤.
(٣٩) ينظر: كتاب سيبويه: ٢/ ٥٩.
(٤٠) تفسير أبي السعود: ٥/ ٢٠٠، وينظر: تفسير البيضاوي: ٣/ ٣٧١، وروح المعاني: ١٥/ ١٩٠.
(٤١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢١/ ٤١٧.
(٤٢) بيان السعادة: ٣/ ١٤٤.

ليبين تعداد نعم الله وآياته، وليبين أيضا أنّ الليل وما فيه جعل واحد وان النهار جعل آخر مخالف لجعل الليل[٤٣]، ويكاد الآلوسي يشير العلة نفسها في هذا التكرار فقال «كأنه جعل الليل لباساً والنوم فيه سباتاً بمجموعه مقابل جعل النهار نشوراً ولهذا كرر جعل»[٤٤].

٣. **أسلوب الالتفات**[٤٥]:

يعرف الالتفات: انه «العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم، أو على العكس»[٤٦]، أو: «هو انصراف المتكلّم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة»[٤٧]، ويعد من محاسن الكلام[٤٨]، وقد أشار الزمخشري (٥٣٨هـ) إلى وجه حسنه بقوله: هو أن «الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن نظرية لنشاط السامع، وأكثر إيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بلطائف»[٤٩]، ونظير هذا ما ذكر الجنابذي في الالتفات معرفا إياه في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٣] قائلا: «والوجه العام في الالتفات إيقاظ المخاطب للتوجه إلى الكلام توجيها أتم من التوجيه السابق، وتجديد نشاطه، ويوجد في خصوص الموارد بعض الدواعي الخاصة»[٥٠]، وغيرها من الفوائد والتعاريف التي أشار لها العلماء[٥١]، وقد فصل الدكتور

(٤٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩/ ٤٥.
(٤٤) روح المعاني: ١٩/ ٢٩.
(٤٥) ومن شواهد هذا الاسلوب التي ذكرها المفسر وهي: ١/ ٩٨، ١/ ١١٤، ١/ ١١٦، ١/ ١٦٤، ١/ ١٧٧، ١/ ٢٠٠، ١/ ٢٠٣، ١/ ٢٠٥، ١/ ٢١٧، ١/ ٢٥٠، ١/ ٣٠٢، ٢/ ١٩، ٢/ ١٤٥، ٢/ ١٧٤، ٢/ ٢٦٥، ٢/ ٢٩٨، ٢/ ٣٠٠، ٢/ ٣٩٥، ٢/ ٤٣٣، ٢/ ٤٣٦، ٣/ ٩١، ٣/ ١٠٠، ٣/ ٢٢٧، ٣/ ٢٧٩ -٢٨٠، ٤/ ٥٣، ٤/ ١٣٠، ٢/ ٣٠٤.
(٤٦) التعريفات، الجرجاني: ٣٥.
(٤٧) البديع، ابن المعتز: ٥٨، ويُنظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ١/ ٣٨٢.
(٤٨) ينظر: الإيضاح، القزويني: ٢/ ٩١.
(٤٩) الكشاف الزمخشري: ١/ ١٢٠.
(٥٠) بيان السعادة: ١/ ٢١٧.
(٥١) ينظر: الطراز لإسرار البلاغة وعلوم حقائق الإيجاز: ٢/ ١٣١ -١٤١، والبرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، الزملكاني: ٣١٤، والإتقان في علوم

طالب الزوبعي هذا الأسلوب تفصيلا دقيقا من حيث الأغـراض والأنـواع، زيـادة على الحـدود التي سيقت له بين القدامى والمحدثين[٥٢]، لكن الباحث يكتفي هنا بنوع الالتفات الذي يقع في الضمائر، والـذي أطلق عليه بالالتفات الـضـمـيري[٥٣]، لكثرته عند المفسر، ولتسمية المفسر إياه التفاتا، دون الأنواع الأخر.

ولهذا الالتفات (الالتفات الضميري) ستة أنـواع، ذكرتها كتب البلاغة[٥٤]، تعرض المفسر لها جميعا من خلال تفسيره، ولا يسمح البحث باستعراضها، لذا سوف ينتقي الباحث مثالين منها.

- **الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:**

منه ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾[سورة البقرة: ٨٧ -٨٨]، إذ فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة وقد أشار الجنابذي إلى علته قائلا: «(وقالوا) التفات من الخطاب إلى الغيبة تبعيدا لهم عن ساحة الخطاب وعطف باعتبار المعنى كأنه قيل على ما بين في الخبر السابق: استكبروا عن محمد ﷺ وكذبوه وقالوا في مقام الاستهزاء والاستكبار»[٥٥]، فحين يكون الشخص أمامك، وأنت تخاطبه، ثم تعرض بوجهك عنه، جاعلا إياه غير موجود ينبئ عن إهانته والاستخفاف به، وانه لا يستحق أن يكون أهلا للخطاب، فالابتعاد عن هذه الرتبة رتبة المخاطبة التي يحصل فيها الشهود والحضور فيه من التقبيح والإهانة ما لا يخفى[٥٦]، وبعبارة أخرى إن إبعادهم عن مقام الحضور مع تحققه يفضي إلى تلبس المخاطب بكل صفات النقص التي توجب إعـراض وإبعاد المتكلم عنهم مشيرا إليهم بخطاب

القرآن: للسيوطي: ٢/ ٣٦١.

(٥٢) ينظر: من أساليب التعبير القرآني: ٨٣-١٦١.

(٥٣) ينظر: نفسه: ٩٦.

(٥٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٣١٤-٣٢٢، والإيضاح: ٢/ ٩١ -١٠٢.

(٥٥) بيان السعادة: ١/ ١١٤.

(٥٦) ينظر تفسير أبي السعود: ١/ ١٢٧، وروح المعاني: ١/ ٣١٨.

البعد من خلال ضمير الغيبة، قال ابن عاشور (١٣٩٣ هـ): «ففيه التفات من الخطاب إلى الغيبة وإبعاد لهم عن مقام الحضور فهو من الالتفات الذي نكتته أن ما أجري على المخاطب من صفات النقص والفظاعة قد أوجب إبعاده عن البال وإعراضَ البال عنه فيشار إلى هذا الإبعاد بخطابه بخطاب البعد»(٥٧).

وقد بدا لابن عاشور وجها آخر في توجيه حسن الالتفات من خلال آية البقرة [٨٧]، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ إذ يرى أن الذي استحق من اجله هذا الالتفات وحسن: هو نتيجة الإعراض عن الدعوة المحمدية، أي أن الكلام مع اليهود حين كان يخص دينهم كان الخطاب معهم، أما حين توجه الكلام على الرسول الكريم خاطب المؤمنين وأجرى على اليهود ضمير الغيبة(٥٨).

- **الالتفات من الغيبة إلى التكلم:**

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ﴾ [سورة فاطر: ٢٧]، ففيه التفات من الغيبة إلى التكلم، وقد علل الجنابذي هذا العدول قائلا: «لما كان إنزال الماء من السماء بتوسط الأسباب الطبيعية الظاهرة على الأبصار والعقول اتى بلفظ الغيبة كأنه تعالى عند ذلك غائب عن الأبصار، والظاهر عليه هو الأسباب، بخلاف إخراج الثمرات فان الأسباب الطبيعية فيه خفية عن الأبصار، فكأنه الناظر إليه لا يرى توسط الأسباب، ويرى المسبب عنده؛ فلذالك التفت من الغيبة إلى التكلم»(٥٩).

فكأنّ الإنسان يُرجِع نزول المطر إلى الأسباب المحسوسة والمشاهدة من البرد وتجمع الغيوم وغيرها، فغاب عنه المسبب الرئيس والعلة الأم، فناسب مع هذا الغياب ذكر اللفظ (لفظ الجلالة) بالغيبة،

(٥٧) التحرير والتنوير: ١/ ٥٩٩.

(٥٨) ينظر: التحرير والتنوير: ١/ ٥٩٩.

(٥٩) بيان السعادة: ٣/ ٢٧٩ – ٢٨٠.

لكن خفاء الأسباب في إخراج الثمرات احضر السبب الحقيقي في ذهن الناظر وهو مسبب الأسباب جل جلاله.

وقد علل بعض المفسرين أن هذا العدول يتأتى من كمال القدر، وعظم الشأن، وانه القادر المتعال تنقاد لمشيئته الأشياء[٦٠]، قال الزمخشري: «انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع، لما ذكرت من الافتنان والإيذان بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لأمره، وتذعن الأجناس المتفاوتة لمشيئته، لا يمتنع شيء عن إرادته»[٦١].

لكن النظر في ما ذكر يثير لدى المتلقي سؤالا مفاده: هل أن إخراج الثمرات بألوانها المختلفة تظهر إذعانها وانقيادها لقدرة القادر فجيء بضمير الحضور ليفهم أن إنزال المطر فيه مخالفة لهذا الإذعان، أو انه اقل بقليل؟. وبعبارة أخرى: انه لو بقي الكلام في سياق الغيبة فهل تتخلف الأشياء عن الانقياد لأمره؟؛ لذا يبدو أن تعليل هذا الإيثار يظهر ثمة قوة وضعف بين الغيبة والحضور في آيات الله.

إلّا إذا أريد من خلال هذا الكلام ما ذكره الجنابذي في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [سورة الزخرف: ١١] إذ قال: «التفات من التكلم إلى الغيبة تجديدا لنشاط السامع وإشعارا بان إنبات النبات بكيفيات مخصوصة وتصويرات عديدة عجيبة وتوليدات غريبة ليس إلّا من مبدأ عليم قدير مباشر له فانه صار في حكاية انبات النبات حاضرا عند السامع مشهود له بعد ما كان غائبا عنه»[٦٢].

وربما كان المفسر في توجيهه يقترب من الوجه الأول والثاني من الوجوه الثلاثة التي ذكرها الرازي (٦٠٤هـ) في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ﴾، إذ قال: «فإن كان جاهلاً يقول نزول الماء بالطبع لثقله فيقال له، فالإخراج لا يمكنك أن تقول فيه إنه بالطبع فهو

(٦٠) تفسير ابي السعود: ٦/ ٢١، وروح المعاني: ١٦/ ٢٠٦.

(٦١) الكشاف: ٥/ ١٥٤.

(٦٢) بيان السعادة: ٤/ ٥٣.

بإرادة الله، فلما كان ذلك أظهر أسنده إلى المتكلم، ووجه آخر: هو أن الله تعالى لما قال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ﴾ علم الله بدليل، وقرب المتفكر فيه إلى الله تعالى، فصار من الحاضرين، فقال له أخرجنا لقربه، ووجه ثالث: الإخراج أتم نعمة من الإنزال؛ لأن الإنزال لفائدة الإخراج فأسند الأتم إلى نفسه بصيغة المتكلم وما دونه بصيغة الغائب»[٦٣].

٤. **أسلوب الوصل والفصل**[٦٤]:

وصف علماء البلاغة هذا الأسلوب بأنه « عظيم الخطر صعب المسلك دقيق المأخذ لا يعرفه على وجهه ولا يحيط علماً بكنهه إلا من أوتي في فهم كلام العرب طبعاً سليماً ورزق في إدراك أسراره ذوقاً صحيحاً»[٦٥].

وحدّه في البلاغة «الوصل عطف جملة على أخرى بالواو -والفصل ترك هذا العطف بين الجملتين والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد الأخرى»[٦٦]، وله أقسام وأنواع ذكرها البلاغيون واللغويون[٦٧]، يضيق المقام عن بيانها، وقد رصد الباحث كثرة من الشواهد التي نبّه عليها المفسر، ذاكرا لكل منهما مثال واحد.

- **الوصل:**

منه ما جاء في إيثار الوصل في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾

(٦٣) مفاتيح الغيب: ٢٦/ ٢٣٥.

(٦٤) ومن شواهد هذا الأسلوب التي ذكرها المفسر وهي: ١/ ٦١، ١/ ٧٢، ١/ ١٣٠، ١/ ١٢٤، ١/ ١٥٢، ١/ ١٦٨ -١٦٩، ١/ ١٧٧، ١/ ١٩١، ، ١/ ١٩٦، ١/ ٢٣٥، ١/ ٢٥١، ٢/ ١٤٣، ٢/ ٢١٩، ٢/ ١٣١، ٢/ ٢٤٨، ٢/ ٢٩١، ٢/ ٢٩٣، ٢/ ٤٢٩، ٤/ ٢٨ -٢٩، ٤/ ٩٩، ٤/ ١٦٧، ٤/ ٢٦٢، ٤/ ١٨٨.

(٦٥) الإيضاح، للقزويني: ٣/ ٩٧.

(٦٦) جواهر البلاغة: للسيد احمد الهاشمي: ١٩٦.

(٦٧) ينظر: الطراز لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الايجاز: ٣٢ -٥٢، الإيضاح: ٣/ ٩٧ -١٢٠، وشروح التلخيص، التفتزاني: ٣/ ٣، واساليب المعاني: ١٩٩-٢٥٦، ومن بلاغة القرآن: ١٣٤-١٤٠.

[سورة البقرة: ١٨٩] فالذي يتلو هذه الآية ربما يقف سائلا نفسه عن وجه الوصل والارتباط في قوله تعالى ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ﴾ فيما قبله الذي يتكلم عن المواقيت ومنازل القمر لما يبدو لأول وهلة من البون والاختلاف لكن المفسر تنبه اليه قائلا: «﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ﴾ عطف على هي مواقيت، أو على يسألونك بطريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، ووجه المناسبة بينهما أتى بأداة الوصل أنّ السؤال عن اختلاف الأهلة من غير اطلاع على هيأة الأفلاك ومناطقها، ومقادير حركاتها، وحقيقة القمر واكتسابه الضوء من الشمس دخول في طلب هذا العلم، أو في هذا العلم من ظهره لا من بابه فان باب العلم بما ذكر»[٦٨]، وكان المفسر يريد أن يشير في تعليله ما أشار إليه الرازي إذ يقول: «إنكم لما لم تعلموا حكمته في اختلاف نور القمر صرتم شاكين في حكمة الخالق، فقد أتيتم الشيء لا من البر ولا من كمال العقل إنما البر بأن تأتوا البيوت من أبوابها فتستدلوا بالمعلوم المتيقن وهو حكمة خالقها على هذا المجهول فتقطعوا بأن فيه حكمة بالغة»[٦٩]، ليكون دخول البيوت من الظهور هو كناية عن الطريق غير الصحيح، والدخول من الأبواب هو كناية عن الطريق الصحيح[٧٠].

وربما ذكر بعض المفسرين ان علة الوصل كونه يريد أن يبين أن ليس من الصحيح ان تسالوا النبي عن علوم الأشياء لكونه جاء مبعوثا لبيان الشرائع السماوية وما سألوا عنه لا يتعلق بعلم النبوة فكانت مناسبة الوصل ان سؤالكم هو مثل الذي يدخل البيوت من ظهورها[٧١]، قال البيضاوي (٦٩١هـ): «أنهم لما سألوا عمّا لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة، عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيهاً على أن اللائق بهم أن يسألوا أمثال ذلك ويهتموا بالعلم بها»[٧٢].

(٦٨) بيان السعادة: ١/ ١٧٧.

(٦٩) مفاتيح الغيب: ٥/ ٢٨٦.

(٧٠) ينظر: مفاتيح الغيب: ٥/ ٢٨٦.

(٧١) ينظر: تفسير أبي السعود: ١/ ٢٠٣.

(٧٢) وتفسير البيضاوي: ١/ ٤٧٥.

• **الفصل:**

ومما جاء من هذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [سورة الأنعام: ٩٥-٩٦]، ففي هذه الآية الكريمة يلحظ ان ((يُخْرِجُ الْحَيَّ...)) لم تعطف على ما قبلها، في حين عطفت ((وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ...))، وفي قوله ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ... ﴾ لم تعطف، إلّا أن ما بعده جاء معطوف عليها، وقد لحظ المفسر اختلاف الوصل والفصل في هذه الآيات قائلا: «وإسقاط العاطف ههنا، وفي قوله ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ واتى به في قسيم كل، وكذا والنوى للإشارة إلى أن كلا مع قسيمه كاف في الدلالة على كمال قدرته وعلمه وحكمته وتدبيره لعباده؛ لان كلا من قوله (يخرج الحي) و(فالق الإصباح) كأنه كلام مستأنف غير مربوط بسابقه»[٧٣]، أي أن سبب الفصل في الآيات المتقدمة؛ لكون كل واحدة منها آية من آيات الله تعالى، منفردة عن غيرها، لها من الدلالة على كمال القدرة والتدبير وهو أيضا ما يفهم من قول بعضهم إذ قيل: « ولم يعطف للإيذان باستقلاله في الدلالة على عظمة الله تعالى»[٧٤].

وأمّا الوصل في باقي الجمل فكان نتيجة التداخل، وتعلق إحداهما بالأخرى، فكانت الجمل المتعاطفة تشكل أقسام أو قسمي الآية الإلهية لتكون آية واحدة، وليكون قوله تعالى ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ بكلا قسميها آية متكاملة، تكمل إحداهما الأخرى، فيذهب المفسر من خلال تعليله الذي ذكره إلى أن (مخرج) معطوفة على يخرج، وعد هذا العدول فيه عن الفعل إلى الاسم «للإشارة إلى قلة الحي، كأنه قلما يحصل إخراجه من الميت، بخلاف الميت فانه بكثرته كان مستمرا إخراجه»[٧٥]، خلافا للزمخشري ومن

(٧٣) بيان السعادة: ٢/ ١٤٣.

(٧٤) روح المعاني: ٧/ ٢٢٦، وينظر: فتح القدير، الشوكاني: ٢/ ١٤٢.

(٧٥) بيان السعادة: ٢/ ١٤٣.

تابعه من بعض المفسرين الذين عدوا هذه الجملة معطوفة على قوله: ﴿فَالِقُ﴾ للتوافق في الاسمية، ولان ((يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ)) هي تفسير ومبينة لقوله (فالق الحب والنوى)[٧٦]، لتكون هي هي آية واحدة؛ لان المفسِّر هو عين المفسَّر.

٥. **أسلوب التخصيص**[٧٧]:

والمقصود من هذا الأسلوب هو غير طريق الحصر (القصر) الذي عرف عند البلاغيين، الذي يكون بأدوات معينة مثل (إنما)، أو (ما النافية وإلا الاستثنائية)، أو بالتقديم والتأخير، لكن المراد من هذا الأسلوب هو تخصيص لفظ –سواء أكان حرفا أم فعلا أم اسما أم جملة –بالذكر دون غيره لعلة بيانية، وقد لحظ عند المفسر شواهد كثيرة من هذا الأسلوب، وهذه الكثرة قد لحظها احد الباحثين الذي درس العلل البيانية في تفسير أبي السعود فقال: «وجدت في هذا المطلب أنّ أبا السعود كان يستخدم مفردة (التخصيص) في غير معناها البلاغي الذي تعارف عليه البلاغيون، بل استخدمها بمعنى (الاختيار)»[٧٨]، والشيء نفسه في علل التعبير القرآني عند السمين الحلبي (٧٥٦هـ)[٧٩]، ومن شواهد هذا الأسلوب:

منها ما جاء في قوله تعالى ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [سورة مريم: ١٥]، فلحظ الجنابذي أنّ ثمة تخصيصا لهذه الأوقات؛ ولذا قال: «لما كانت الأوقات الثلاثة أول الخروج والدخول في عالم آخر وهو وقت الانقطاع من المألوف، والاتصال بغير المألوف، وكلاهما موحش للإنسان خصصها

(٧٦) ينظر: الكشاف: ٢/ ٣٧٤، والتحرير والتنوير: ٧/ ٣٨٨.

(٧٧) ومن شواهد هذا الاسلوب التي ذكرها المفسر هي: ١/ ١٥١، ١/ ١٨٢، ١/ ٢٠٠، ١/ ٢٦٨، ١/ ٢٩٤، ١/ ٣٠١، ٢/ ١٣٩، ٢/ ١٤٣، ٢/ ١٤٦، ٢/ ١٧٤، ٢/ ٢٩٠، ٢/ ٢٥٢، ٢/ ٣٣٧، ٢/ ٤٨٦، ٣/ ٣، ٣/ ٢٩، ٣/ ١٠٠، ٣/ ٢٩٧، ٤/ ١٠٠، ٤/ ١٠٣، ٤/ ١٩٩، ٤/ ٢٠١، ٤/ ٢٣٦، ٤/ ٢٤٠، ٤/ ٢٤٥.

(٧٨) علل التعبير القرآني في تفسير أبي السعود، رسالة ماجستير: ٩٩.

(٧٩) ينظر: علل التعبير القراني عند السمين الحلبي، رسالة ماجستير، رنا هادي صالح: ٩٠.

بالذكر»[٨٠]، فالإنسان في كل مرحلة من مراحل عمره قد يعتاد على مكانه وإقامته وان الخروج عن ما هو معتاد عليه لا بد أن يؤدي إلى تخبط صاحبه وتعثره وهو ما يلحظ في الحياة الدنيا، فكيف بمن ينتقل إلى عالم تختلف قوانينه ونظمه، ثم ما لبث أن اعتاد عليه حتى انتقل إلى آخر ليرى في كل مرة ما لم يره من قبل، وأناسا لم يكن عاينهم[٨١]، ولذا فمن «الطبيعي أن تكون هذه الأيّام مرافقة للاضطرابات والقلق»[٨٢]، فخصه الله تعالى بالسلام ليأمن ذلك الهول، قال ابن عطية (٥٤٦هـ): «إنما الشرف في أن أسلم الله عليه وحياه في المواطن التي الإنسان فيها في غاية الضعف والحاجة وقلة الحيلة والفقر إلى الله وعظيم الهول»[٨٣].

ومما جاء من هذا الأسلوب أيضا قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [سورة فصلت: ٦ -٧]، ففيها ان الله تعالى خصص للمشركين صفة عدم ايتاء الزكاة دون الاوصاف الاخر، وتنبه المفسر لهذا التخصيص قائلا: «اقتصر على نفي اتيان الزكاة اشعارا بان المشرك ليس اشراكه إلّا من انانيته التي ينبغي ان تطرح، فان أصل إتيان الزكاة هو طرح الأنانية والإعطاء منه في طاعة الله، ومن بخل بطرح الأنانية بخل بإعطاء المال والقوى والجاه، ولو أعطى لم يكن إعطاؤه إعطاء للزكاة بل كان ممن قال الله تعالى: ﴿ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٤]»[٨٤]، وعليه فان المفسر يذهب إلى كون المراد من الزكاة هي زكاة الأموال – لا كما قيل ان المراد منها هو زكاة الأنفس بقول لا اله إلّا الله –هذا أولا.

وأمّا ثانيا فكأنّ إعطاء الزكاة أصبحت هي الفيصل لتميز المشرك من غيره نتيجة العلقة بين الإنسان وحب المال، ولذا قدم المال على غيره في قوله تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ

(٨٠) بيان السعادة: ٣/ ٣.
(٨١) ينظر: معالم التنزيل، البغوي: ٥/ ٢٢٢.
(٨٢) الامثل: ٩/ ٤١٨.
(٨٣) المحرر الوجيز، ابن عطية: ٤/ ٨.
(٨٤) بيان السعادة: ٤/ ٣٢.

ٱلدُّنيَا ﴾[سورة الكهف: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾ [سورة الإسراء: ٦]، وغيرها من الآيات، فقيل قُدِّم المال: «لعراقته فيما نيط به من الزينة والإمدادِ»[٨٥]، ولهذه الحظوة التي يحظى بها المال من النفس الإنسانية كان له الأثر الأول في نفس المشركين، ويكاد بعض المفسرين يتفقون مع ما ذهب إليه الجنابذي، فقالوا «أنّ الإنفاق المالي في سبيل الله يعتبر من أوضح علامات الإيثار والحب لله، لأنّ المال يعتبر من أحبّ الأشياء إلى قلب الإنسان ونفسه، وبذلك فإنّ الإنفاق -وعدمه -يمكن أن يكون من الشواخص الفارقة بين الإيمان والشرك»[٨٦].

٦. أسلوب الحذف[٨٧]:

وقد ذكر له العلماء تعاريف متنوعة ربما يكون أهمها ما ذكره عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) إذ يقول: هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن»[٨٨]، « لكونه يدفع المتلقي الى استحضار الكثير مما يجول في خلده»[٨٩].

وله أقسام وفوائد كثيرة أحصيت من قبل اللغويين والبلاغيين[٩٠]، يذكر الباحث منها نوعين حسب ما تسمح به وريقات البحث وهما: حذف الحرف، وحذف الكلمة.

- **حذف الحرف:**

ومن أمثلته ما جاء في قولـــه تعالى:

(٨٥) تفسير أبي السعود: ٥/ ٢٢٥، وينظر: روح المعاني: ١٥/ ٢٨٦.

(٨٦) الامثل: ١٥/ ٣٥٤.

(٨٧) ومن شواهد هذا الأسلوب التي ذكرها المفسر هي: ١/ ١٧٤، ١/ ٢٣٠، ١/ ٢٧٧، ١/ ١٨٤، ١/ ١٨٦، ١/ ١٨٩، ١/ ١٩٠، ١/ ١٩١، ١/ ١٩٣، ١/ ٢٠١، ١/ ٢٣٥، ١/ ٢٧٥، ١/ ٢٨٢، ١/ ٢٨٦، ١/ ٢٨٧، ١/ ٣٠٩، ٢/ ٣٧، ٢/ ٦١، ٢/ ١٠٥، ٢/ ٢٨٠، ٢/ ٤٨٤، ٤/ ١١٠، ٢/ ٤٢١-٤٢٢.

(٨٨) دلائل الإعجاز: ١٧٠.

(٨٩) النظام النحوي في القرآن الكريم -دلالة النظام النحوي، د. عبد الوهاب حسن حمد: ٤١٧.

(٩٠) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٦٨٥-٧٥٩، ومن بلاغة القرآن: ٩٧-١٠١.

﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾[سورة الكهف: ٩٧]، فقد لحظ الجنابذي هذا التغاير في استعمال الفعل، فحذف التاء تارة، وأبقاها أخرى، فقال معللا لهذا الاستعمال: «فما استطاعوا بحذف تاء الاستفعال إشعارا بنفي القدرة الضعيفة فضلا عن القوية»[٩١]، وكأنّه يريد أن يبين أن هناك قدرتين قدرة صعود الردم وقدرة إحداث الثقب في ذلك الردم، وان القدرة الأولى تكون اقل من الثانية، فناسب مع ذلك تجريد الفعل الأول من التاء ليناسب قلة القدرة الأولى، قال ابن عاشور: «هنا إيثار فعل ذي زيادة في المبنى بموقع فيه زيادة المعنى لأن استطاعة نقب السد أقوى من استطاعة تسلقه، فهذا من مواضع دلالة زيادة المبنى على زيادة في المعنى»[٩٢]، أي أن إحداث نقب في السد المصنوع من الحديد والنحاس أشدّ من الصعود على ظهره فطول في بناء الفعل لأجل العمل الثقيل[٩٣].

إلّا أن كثير من اللغويين والمفسرين عللوا هذا التغاير تعليلا لهجيا أو صوتيا، فابن جني عد الكلام في اسطاعوا واستطاعوا من باب اللغات وقال إن فيها لغات أخرى ومنها أسطعت بقطع الهمزة لغة ثالثة واستعت بهمزتي القطع والوصل رابعة وخامسة[٩٤].

وذهب آخرون أن حذف التاء كان تخفيفا وتجنبا من التقاء الحرفين المتقاربين في المخرج[٩٥]، قال الزمخشري: «حذف التاء للخفة؛ لأنّ التاء قريبة المخرج من الطاء»[٩٦]، ولا يخلو من وجه، أي انه لو كانت العلة الحقيقية لأجل التخفيف فلماذا طلب التخفيف هنا دون الثانية علما أن الكلمتين في الآية نفسها، ولا يوجد فاصل كلامي إلا قوله تعالى: ﴿ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ﴾، وابعد من هذا التعليل

(٩١) بيان السعادة: ٢/ ٤٨٤.
(٩٢) التحرير والتنوير: ١٦/ ٣٨.
(٩٣) ينظر: التعبير القرآني: ٧٥.
(٩٤) ينظر: الخصائص ٢١٦.
(٩٥) ينظر: روح المعاني: ١٦/ ١٤.
(٩٦) الكشاف: ٣/ ٦١٦، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٢/ ٣٢٠، وزاد المسير، ابن الجوزي: ٥/ ١٩٣.

حين يذهب به مذهب النغم الصوتي، أي التوازن الموسيقي والانسجام الصوتي، إذ سيطرح السؤال نفسه، أي لماذا استلزم في إحداهما العلة الموسيقية دون الأخرى(٩٧).

وقد جاء نظير هذا الحذف في موضع آخر من سورة الكهف، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴾[٨٢]، وقد علله الجنابذي بما يقرب مما تقدم إذ قال: «واسقط التاء ههنا إشعارا بظهور نقصان طاقته عن الصبر عليه ولم يسقط التاء عما سبق من قوله﴿ لَمۡ تَسۡطِع ﴾ وقوله ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴾ [سورة الكهف: ٧٨] لعدم ظهور نقصان الاستطاعة بعد على موسى عليه السلام بل كان مدعيا للاستطاعة كما روي عنه عليه السلام انه قال بل استطيع»(٩٨).

ومما جاء من حذف الحرف في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي ﴾[سورة البقرة: ١٨٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾[سورة ق: ٣١]، ومثلها ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ٥٦] التي حذف فيها التاء فيعد الجنابذي أن لكل حذف علة، ومعنى قد لا يلحظ لو ذكر الحرف المحذوف، ففي الآيتين من سورتي (ق والأعراف) يعلل سقوط التاء منهما هو لتأكيد القرب قال: «﴿ غَيۡرَ بَعِيدٍ ﴾مكانا غير بعيد وإزلافا غير بعيد، أو حال كونها غير بعيدة، وإسقاط التاء حينئذ يكون من قبيل إسقاط التاء من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴾ وهو تأكيد لقربها»(٩٩)، وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [سورة البقرة: ١٨٦]، ففي كلمة (داع)، يقول المفسر: «وإسقاط الياء للإشعار بان دعاء كل داع قاصر عن البلوغ إلى مقام الذات بان يكون المدعو هو الذات من غير

(٩٧) ينظر: اثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، د. فدوى محمد حسان: ٢٢٧.

(٩٨) بيان السعادة: ٢/ ٢٨٠.

(٩٩) نفسه: ٤/ ١١٠.

عنوان لـه»[100]، وأمّا في (دعان)، فقال المفسر: «وإسقاط ياء المتكلم والاقتصار على نون الوقاية وكسرته للإشعار المذكور»[101]، وهو بهذا يتوافق مع الذين يقولون أنّ وراء الحذف والتغاير من موضع إلى آخر تكمن وراءه نكات تفسيرية خفية، لذا يعدون أمثال ذلك أنها «من الأسرار الباطنية التي لا تدرك إلّا بالفتح الرباني»[102].

وعلى هذا يمكن أن يقال: إن المفسر يعد من جملة القائلين: إن الرسم القران هو موقوف من الله[103]، خلافا لمن يذهب أن القرآن قد كتب وفق ثقافة الكتاب، أي إلى كونه متأثر بظواهر كتابية قديمة قد اندثرت فيما بعد ولم تمح من اذهان الكتبة[104]، أو انه يرجع في بعض الاحيان إلى علل صوتية وتاثر الحرف بمجاوره[105] وغيرها من الأسباب.

حذف كلمة

ومن مواطن الحذف التي أشار اليها المفسر ما قاله في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [سورة النحل: ٨١]، فلم يقل مثلا (الحر والبرد)، وهو طريقة العرب إذ يكتفون بذكر أحد الشيئين عن الآخر للعلم به مثلا قال الشاعر[106]:

وما أدري إذا يَمَّمْتُ أرضاً

أريدُ الخيرَ أيُّهما يَليني[107]

فذكر الخير ولم يذكر الشر لدلالة الكلام عليه.

وقد علل الحنابذي الحذف في الآية الكريمة قائلا: «﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ أي والبرد أسقطه، واكتفى بذكر الحر

(١٠٠) نفسه: ١/ ١٧٤.
(١٠١) نفسه: ١/ ١٧٤.
(١٠٢) الابريز من كلام سيد عبد العزيز الدباغ، سيد احمد بن المبارك: ١٤٤.
(١٠٣) ينظر: رسم المصحف ونقطه، عبد الحي الفرماوي: ٣٧٣.
(١٠٤) ينظر: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، د. غانم قدوري: ٢٥٧.
(١٠٥) ينظر: نفسه: ٢٦١.
(١٠٦) المثقب العبدي، واسمه محصن بن ثعلبة، وإنما سمي المثقب لقوله:
ردَدْنَ تَحيَّةً وكَنَنَّ أُخْرى
وثَقَّبْنَ الوَصاوِص للعُيونِ
ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري: ١/ ٨٠.
(١٠٧) الديوان: ٢١٢.

لعدم الاحتياج إلى ذكره لوضوحه بقرينة المضادة، وان الحاجة إلى اللباس في البرد اشد منه في الحر، وللاهتمام بالحفظ من الحر في بلاد العرب»[١٠٨]. فذكر جملة من الأسباب لهذا الحذف، وقد أشار المفسرون إلى هذا المعنى قال الثعلبي (٤٢٧هـ): «وما يقي من البرد أعظم وأكثر ولكنهم ظلوا أصحاب حر»[١٠٩].

لكن حين يكون احد اللفظيين دالا على الآخر، فلم خص الحر بالذكر ولم يخص البرد، وخاصة ان الجنابذي أشار إلى أنّ البرد اشد منه في الحر؛ لذا علل صاحب الميزان على تخصيص ذكر الحر قائلا: «ولعل بعض الوجه في ذكره الحر والاكتفاء به، أن البشر الأولى كانوا يسكنون المناطق الحارة من الأرض، فكأنّ شدة الحر أمس بهم من شدة البرد، وتنبههم لاتخاذ السراويل إنما هو للاتقاء مما كان الابتلاء به أقرب إليهم، وهو الحر»[١١٠]، أي ان المذكور يتناسب مع حالهم التي كانوا عليها، وقد ذهب إلى هذا المعنى الطوسي (٤٦٠هـ)[١١١]، والزمخشري[١١٢]، والآلوسي[١١٣].

ويكتفي الباحث بذكر هذه الأساليب-التي غلبت شواهده في هذا التفسير -لئلا يخرج البحث في صفحاته عن المتعارف، علما أن جل الأساليب قد تعرض لها المفسر، ونبّه إلى عللها، وسيذكرها الباحث حسب كثرتها في آخر هذا المبحث ليستفيد منه الباحثون.

لكن البحث قد طوى كشحا عن ذكر الاستعارة والتشبيه والكناية؛ إذ أن الذي يلحظ من هذه الأساليب لم تورد عند المفسرين لبيان علل بقدر ما كان المراد منها حين يتعرضون لها كيفية التوجيه في هذه الأساليب، والتوجيه شيء والسؤال عن العلة شيء آخر؛ ولتوضيح ذلك نورد الأمثلة الآتية:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ

(١٠٨) بيان السعادة: ٢/ ٤٢١ -٤٢٢.
(١٠٩) الكشف والبيان، الثعلبي: ٦/ ٣٥.
(١١٠) الميزان: ١٢/ ٢٥٨.
(١١١) وينظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤/ ١٥٠.
(١١٢) ينظر: الكشاف: ٣/ ٤٥٩.
(١١٣) ينظر: روح المعاني: ١٤/ ٢٠٥.

مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ٩٦]، قال الطباطبائي (١٤٠١هـ): «فيه استعارة بالكناية فقد شبهت البركات بمجاري تجري منها عليهم كل ما يتنعمون به من نعم الله لكنها سدت دونهم فلا يجري عليهم منها شيء لكنهم لو آمنوا و اتقوا لفتحها الله سبحانه فجرى عليهم منها بركات السماء من الأمطار و الثلوج و الحر و البرد و غير ذلك كل في موقعه و بالمقدار النافع منه، و بركات الأرض من النبات و الفواكه و الأمن و غيرها ففي الكلام استعارة المجاري لبركات ثم ذكر بعض لوازمه وآثاره وهو الفتح للمستعار له»[١١٤]، ففيه هذا المثال لو أريد فيه بيان العلة فلا بد أن يسال المفسر نفسه عن سبب تشبيه البركات بمجاري تجري منها... ولم يشبه بالأنهار مثلا، أو البحار الجارية، أو غيرها حتى يقال انه شبه بكذا، ولم يشبه بكذا، ثم يبين هذه العلة عن سبب الإتيان به دون غيره.

(١١٤) الميزان: ٨/ ٢٠٥.

وكذا في قوله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [سورة الإسراء: ٢٤]، قال السمين الحلبي: «قوله: جناح الذل إستعارة بليغة، قيل: وذلك أن الطائر إذا أراد الطيران، نشر جناحيه ورفعهما ليرتفع، وإذا أراد ترك الطيران خفض جناحيه، فجعل خفض الجناح كناية عن التواضع واللين»[١١٥].

والقول نفسه يقال في الكناية، ففي مثل قوله تعالى: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾[سورة الزمر: ٥٦]، قال الزمخشري: «والجنب: الجانب، يقال: أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته، وفلان لين الجنب والجانب، ثم قالوا: فرّط في جنبه وفي جانبه، يريدون في حقه. قال سابق البربري:

أَمَا تَتَّقِينَ اللهَّ فِي جَنْبِ وَامِقٍ
لَـهُ كَبِدٌ حَرَّى عَلَيْكِ تَقَطَّعُ

وهذا من باب الكناية؛ لأنك إذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه، فقد أثبته فيه. ألا ترى إلى قوله:

(١١٥) الدّر المصون، السمين الحلبي: ٤/ ٣٨٥.

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرُوءَةَ وَالنَّدَى
فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشْرَجِ

ومنه قول الناس: لمكانك فعلت كذا، يريدون: لأجلك»[١١٦]، فيلحظ من كلام الزمخشري انه لم يتعرض إلى علة هذا الاستعمال دون غيره، وانما بين وجه هذا الاستعمال، فالفرق بينهما هو مثل الفرق حين يقال مثلا:

لماذا فعل زيد هذا الامر أي ما هو السبب وما هي العلة وبين أن يقال: (كيف فعل زيد هذا الامر)، فهنا يحتاج الامر إلى بيان وتوضيح لا إلى علة ومعلول.

وفي الوقت نفسه لا يقول الباحث أن كل ما جاء على هذه الأساليب يفتقر إلى العلة، بل إن بعضها يدخل في علل الإيثار القرآني، فعلى الباحثين الذين درسوا علل التعبير القرآني[١١٧] أن يفرقوا بين ما يدخل في هذا العنوان، وبين التي يراد من التوجيه والبيان، مثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ [سورة الممتحنة: ١٢]، قال الزمخشري: «كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها: هو ولدي منك. كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذباً، لأنّ بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده به بين الرجلين»[١١٨]، فهنا بين الزمخشري علة الإتيان بقوله تعالى: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ دون غيرها من الألفاظ عن الولد المفترى بها معناه أن هذا الموضع هو الذي يخرج منه الولد، فبين هذه الكناية وبين ما ذكر آنفا بون، ولم يلتفت الباحث إلى هذا الفارق بين الكنايتين[١١٩].

(١١٦) الكشاف: ٤/ ١٣٧.

(١١٧) ينظر: وعلل التعبير القرآني في تفسير الكشاف، اسعد عبد العليم عبد الرزاق، رسالة ماجستير، علل التعبير القرآني عند السمين الحلبي في كتابه الدر المصون، رنا هادي صالح، رسالة ماجستير، علل التعبير القرآني في السور المفتحة بالحمد، وسام نجم عبد الله، اطروحة دكتوراه. وعلل التعبير القرآني في تفسير الميزان عبد العزيز فزاع شايب، رسالة ماجستير.

(١١٨) الكشاف: ٤/ ٥٢٠.

(١١٩) ينظر: علل التعبير القرآني في تفسير الكشاف للزمخشري: ١٥٤ –١٥٥.

أما ما جاء في تفسير الجنابذي فيعد غالبا -إن لم يكن جميعها -هو من باب التوجيه والبيان في هذه الأساليب، ففي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ [سورة ال عمران: ٨١]، قال المفسر: «والميثاق العهد الذي يثق المتعاهد به شبه العهد بالرهن ثم استعمل الأخذ استعارة تخييلية وترشيحا للاستعارة»(١٢٠).

ومثال توجيه التشبيه ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ ﴾ [سورة النحل: ٩٢]، قال المفسر: «وهو تشبيه تمثيلي لحال من بايع البيعة الإسلامية، فان البيعة الإسلامية كالخيط المغزول الموصول من البائع إلى من بايع معه، بل إلى الله، ثم أكد تلك بالبيعة الإيمانية، فإنها مثل استحكام الخيط المفتول بفتل آخر، ثم نقض البيعة، فان نقضها مثل نقض فتل الخيط بحال امرأة غزلت وأتعبت نفسها في غزلها، واستحكامه، ثم نقض غزلها في تحمل المتاعب، وعدم الانتفاع بالغزل»(١٢١).

فيلحظ مما تقدم من أساليب علم البيان التي أوردها المفسر لم يبحث فيها عن علة للاستعارة والتشبيه، وإنما وجه هذه الأساليب وبين كيفيتها.

والأساليب التي تم إحصاؤها ولم يذكرها الباحث فهي بحسب الكثرة كالأتي:(١٢٢)

أسلوب التعريف والتنكير(١٢٣)، أسلوب الجمع والإفراد والتثنية(١٢٤)، وأسلوب التقييد(١٢٥)، وأسلوب

(١٢٠) بيان السعادة: ١/ ٢٧٨.

(١٢١) بيان السعادة: ٢/ ٤٢٤.

(١٢٢) المصدر نفسه.

(١٢٣) ينظر: بيان السعادة: ١/ ٥٥، ١/ ٦١، ١/ ١٣٠، ١/ ٢٣٣، ١/ ٢٦٨، ٢/ ٢٠٠، ٢/ ٣٠٣، ٢/ ٤٥١، ٢/ ٤٥٠، ٢/ ٤٨٦ ٣/ ٩١، ٤/ ٥١، ٤/ ١١٨، ٤/ ٢٤٤، ٤/ ٢٦٤.

(١٢٤) ينظر: بيان السعادة: ١/ ٦١، ١/ ٥٥، ١/ ٢٢٦، ١/ ٢٤٧، ٢/ ١٨٨، ٢/ ٢٥٣، ٢/ ٣٨٨، ٢/ ٣٩٠، ٣/ ١٦ -١٧، ٤/ ١٣٠، ٤/ ١٨٨.

(١٢٥) ينظر: بيان السعادة: ٣/ ١٤٨، ٤/ ١٥، ٤/ ٣٢، ٤/ ٣٨، ١/ ٢٩٤، ١/ ٢٩٣، ٢/ ٣٠٠.

التأكيد[١٢٦]، وأسلوب النداء[١٢٧]، وأسلوب الحصر[١٢٨]، وأسلوب النداء[١٢٩]، وأسلوب العطف[١٣٠].

أما الأساليب الأخر من مثل: التأنيث والتذكير[١٣١] [١٣٢]، والتخصيص بعد التعميم، والتعميم بعد التخصيص، وذكر الخاص بعد العام، لا تعدو الشاهدين.

المبحث الثاني: الإيثار في الجمل

الجملة العربية تتألف من عناصر، كان من أبرزها المفردة (الكلمة)، والبناء الصرفي (الصيغة)[١٣٣]، وتتألّف أيضا من ركنين وهما: المسند والمسند إليه، وهذان الركنان هما عمدة الكلام، وما عداهما فضلة أو قيد[١٣٤].

أما من حيث الأقسام في العربية فتقسم إلى ثلاثة: إسمية وفعلية وظرفية، وزاد الزمخشري وغيره الجملة الشرطية، والصّواب أنّها من قبيل الفعلية[١٣٥].

ولم يلحظ الباحث من خلال دراسته لتفسير بيان السعادة وجود إيثار في شبهة الجملة مع غيرها من الأقسام ولذا فقد تضمن هذا المبحث الإيثار بين الاسمية والفعلية وزيد هنا الإيثار في الجمل المتشابه (الآيات المتشابه) لكون هذا النوع يقع دراسته في الجمل ورتبت هذه الأنواع حسب الكثرة فكانت كالأتي:

١. الإيثار بالجمل الاسمية على الفعلية.

(١٢٦) ينظر: بيان السعادة: ٢/ ٢١٦، ٢/ ٢١٩، ١/ ٢٢٦، ٢/ ٣٠٨-٣٠٩، ٤/ ١٦٧، ٤/ ٢٤٧.

(١٢٧) ينظر: بيان السعادة: ٢/ ١٧٤، ١/ ١٧٠، ١/ ٢٣٠، ١/ ٢٧٣، ٤/ ٢٤٢.

(١٢٨) ينظر: بيان السعادة: ١/ ١٦٩، ١/ ٢٧٠، ١/ ٥٩، ١/ ٢٩٤.

(١٢٩) ينظر: بيان السعادة: ١/ ١٧٠، ١/ ٢٣٠، ١/ ٢٧٣، ٤/ ٢٤٢.

(١٣٠) ينظر: بيان السعادة: ١/ ٢٥١، ١/ ٢٦٨، ٤/ ٢٦٥.

(١٣١) ينظر: بيان السعادة: ١/ ١٠٢، ٢/ ١٣٨.

(١٣٢) المصدر نفسه.

(١٣٣) ينظر معاني النحو، د. فاضل السامرائي: ١/ ١١.

(١٣٤) ينظر: نفسه ١:/ ١٤.

(١٣٥) ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام: ٢/ ٣٧، وشرح كتاب الحدود في النحو، الفاكهي: ٦٥، والجملة العربية، تأليفها وأقسامها، د. فاضل السامرائي: ٨-١٠.

٢. الإيثار بالجملة الاسمية على الاسمية.
٣. الإيثار بالجملة الفعلية على الفعلية.
٤. الإيثار بالجملة الفعلية على الاسمية.
٥. الإيثار في الجمل المتشابهة (الآيات المتشابهة).

١. إيثار الجملة الاسمية على الجملة الفعلية:[١٣٦]

إن الذي يراد من هذا النوع هو أن السياق بحسب الظاهر أن تعطف الجملة على سنخها من كونها فعلية أو اسمية، وحين يعدل عن ذلك، فتعطف الاسمية على الفعلية، أو العكس فلا بد أن يكون هذا الاضطرار في التخالف بين هاتين الجملتين لغاية بيانية، وقد نبه المفسر إلى بعض النكات في هذا التغاير منها:

ففي قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٨]، قال المفسر: «كان المناسب لردّ قولهم: آمنّا باللّه و اليوم الآخران يقول تعالى شأنه: لم يؤمنوا باللّه و اليوم الآخر نفيا لما ادّعوه من حصول الإيمان في الزّمن الماضي، لكنّه عدل إلى الاسميّة مطلقة عن التّقيّد بالزّمان والمتعلّق إشعارا بنفي الإيمان عنهم فطرة وتكليفا، ماضيا ومستقبلا متعلّقا بشيء من الأشياء، فانّه كما أنّ اسميّة الجملة تكون لتأكيد الإيجاب تكون لتأكيد النّفي، و نفي المطلق يكون لإطلاق النّفي، إلا أن يقيّد المطلق بالإطلاق، فانّ النّفي الوارد عليه حينئذ قد يكون لنفي الإطلاق»[١٣٧].

كأنه يشير إلى مسالتين في إيراد هذه الجملة أولها إن الجملة الاسمية من حيث كونها اسمية خالية من الزمن، فهي شاملة لكل وقت ولكل حين، وان نفيها يكون كذلك، أي النفي لكل وقت مثلما كان الإيجاب لكل وقت، واحترز من أن يفهم أن المنفي -في مثل هذه العبارة -هو المطلق فقط، أي أن النفي لا يقيد المطلق بالإطلاق فينفيه من حيث هو مطلق،

(١٣٦) ومن شواهد هذا الإيثار التي جاءت في تفسير بيان السعادة: ١/ ١٣٠، ١/ ٥٧، ١/ ١٦٧، ١/ ٢٧٥، ٢/ ٣٠٠، ٢/ ٣٤٩، ٣/ ٤٨، ١/ ٢٧٥، ٢/ ٤١٦، ٣/ ١٢٤-١٢٥، ٣/ ٢٢٣، ٣/ ٢٧٩، ٤/ ٣٨، ٤/ ٤٢، ٤/ ٤٧.

(١٣٧) بيان السعادة: ١/ ٥٧.

وأمّا غير المطلق فلا يكون منفيا، ونظير هذا ما ذكر أبو السعود في دخول حرف الامتناع على الفعل المضارع إذ يقول «إن المضارع الخاليَ عن حرف الامتناع يدل على استمرار الوجود وعند دخول حرف الامتناع عليه يدل على استمرار الامتناع، لا على امتناع الاستمرار، كما في قوله عز وجل: ﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ﴾[سورة يونس: ١١]، فإن عدم قضاءِ الأجل لاستمرار عدم التعجيل لا لعدم استمرارِ التعجيل»[١٣٨].

وأمّا المسالة الثانية التي استفيد من إيثار هذه الجملة بمفرداتها: وهو الإتيان بلفظ المؤمنون والنفي بما، وتأكيد هذا النفي من خلال اجتلاب الباء في خبر (ما) الحجازية، كلها دلائل تشير إلى توكيد النفي وشدته، إذ لحظ أن نفي الجمل في القرآن الكريم حين يراد تأكيد شدته تجتلب ما النافية[١٣٩]، وحين يراد تأكيد النفي أكثر فأكثر يؤتى بالباء في خبر (ما) الحجازية[١٤٠]، ومن الملاحظ أيضا من خلال تتبع آيات الذكر الحكيم أن هذه الباء زيدت مع خبر (ما) في ما يقرب على ست وسبعين موضعا، وخلت منها ثلاثة مواضع فقط[١٤١]، وهذا يبين ايضا سبب عدم استعمال (ليس) ليقول مثلا (وليس هم بمؤمنين).

ثم انه لم يقل في الآية المتقدمة مثلا: (وما آمن) أو (لم يؤمن) ليدل على إخراجهم من جنس الإيمان مطلقا غير مقيد بزمن، ولذا عبر عنه بنفي الإيمان الفطري والتكليفي، ولو أوتي بالفعل الماضي، أو المضارع لدل على النفي مقيدا بزمن الفعلين، زيادة على ذلك أن نفي الفعل يختلف عن نفي الفاعل، وفي هذا مثّل الرازي قائلا: «إن من قال فلان ناظر في المسألة الفلانية، فلو قلت إنه لم يناظر في تلك المسألة كنت قد كذبته، أما لو قلت إنه ليس من الناظرين كنت قد بالغت في تكذيبه، يعني أنه ليس

(١٣٨) تفسير أبي السعود: ١/ ٤٠ و ٤/ ١٤٩.
(١٣٩) ينظر: معاني النحو: ١/ ٢٣١.
(١٤٠) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش: ٨/ ١٣٨.
(١٤١) ينظر: السابق: ١/ ٢٣١.

من هذا الجنس، فكيف يظن به ذلك؟. فكذا ههنا لما قالوا آمنا بالله، فلو قال الله ما آمنوا كان ذلك تكذيباً لهم، أما لما قال: ﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ كان ذلك مبالغة في تكذيبهم»[١٤٢]، ويتفق مع الزمخشري[١٤٣]، والبيضاوي[١٤٤]، على أن هذا الاستعمال في الجملة أفاد التأكيد والمبالغة.

ومن هذا النوع أي إيثار الجملة الاسمية على الفعلية ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٠٣]، قال المفسر: «ونكّر المثوبة للإشعار بأنّ ما يصدق عليه المثوبة أيّ شيء كان يسيرا أو كثيرا خير و لم يأت بالجملة الفعليّة للإشعار بأنّ لزوم المثوبة أمر مفروغ عنه و المحتاج إلى البيان لزوم خيريّة المثوبة لا نفس المثوبة، ولم يأت بالمفضّل عليه لعدم الاعتداد به، وليذهب ذهن السّامع كلّ مذهب»[١٤٥]. ففي هذا الإيثار الذي اظهر فيه استمرار المثوبة وثباتها بوساطة اسمية الجملة[١٤٦]، وجعل هذه المثوبة باي كم كانت صغيرة أم كبير من خلال تنكير المسند إليه، مع إطلاق الخير من غير تقيد بجانب ليعم كل خير محتمل بوساطة ترك متعلق التفضيل والذي عبر عنه ليذهب ذهن السامع كل مذهب[١٤٧]، وقد وافق المفسر صاحب الكشاف إذ قال: «كيف أوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو؟. قلت: لما في ذلك من الدلالة على إثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب إلى الرفع في سلام عليكم»[١٤٨] علما أن الغالب لدى النحاة في جواب لو هي الجملة الفعلية[١٤٩] المتصدرة بالماضي دون المستقبل[١٥٠]؛ ولذا عدوا أن لو

(١٤٢) مفاتيح الغيب: ٢/ ٣٠٢.
(١٤٣) ينظر: الكشاف: ١/ ١٧١.
(١٤٤) ينظر: تفسير البيضاوي: ١/ ١٦٢.
(١٤٥) بيان السعادة: ١/ ١٣٠.
(١٤٦) ينظر: النظام النحوي في القرآن الكريم- دلائل النظام النحوي -: ٢٤٤.
(١٤٧) ينظر: تفسير أبي السعود: ١/ ١٤٠.
(١٤٨) الكشاف: ١/ ٣٠٧.
(١٤٩) ينظر: مغني اللبيب: ١/ ٢٨٧.
(١٥٠) ينظر: شرح المفصل: ٩/ ٢٣.

في هذه الآية هي للتمني فلا تحتاج إلى جواب هنا وتعد الآية ((لمثوبة من الله)) مستأنف أو جواب قسم[١٥١].

٢. الإيثار بالجملة الاسمية على جملة اسمية أخرى:[١٥٢]

وقد لحظ هذا النوع من الإيثار لدى المفسر إذ يرى أن بعض المواضع في القرآن ووفق ما يقتضيه السياق أن يجتلب بنظم من الجملة خلاف على ما هي عليه لكنه عدل عن ذلك لإحدى النكات البيانية ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢١]، قال الجنابذي: «وَاللهُ يَدعُوا إلى الجَنَّةِ وَالمَغفِرَةِ حقّ العبارة أن يقول: والمؤمنون والمؤمنات يدعون إلى الجنّة لكنّه عدل عنه إشعارا بانّ دعاء المؤمنين دعاء اللهّ»[١٥٣]، فهنا بين المفسر أن وضع لفظ الجلالة بدل المؤمنين والمؤمنات لا يراد منها تقدير لكونهم يمثلون الله فما جاء في الأثر عن رسولﷺ يبين هذا المعنى الذي المح إليه المفسر وربما تظهر هذه الدلالة في الحديث القدسي قال تعالى بلسان نبيه: ((عبدى اطعني حتى اجعلك مَثَلى أو مِثلى أقول للشيء كن فيكون وتقول للشئ كن فيكون))[١٥٤]، ورُوِي عن النبيﷺ: ((قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء))[١٥٥]، وقال الله سبحانه وتعالى في نبيه الكريم: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ والنظر فيما تقدم

(١٥١) ينظر: حاشية الصبان على شرح الاشموني: ٤/ ٤٧.

(١٥٢) ومن شواهد هذا الايثار التي جاءت في تفسير بيان السعادة: ١/ ١٩٨، ١/ ٢٩٩، ٢/ ٢٤٠، ٢/ ٢٦٧، ٣/ ٦١، ٣/ ٦٩-٧٠، ٣/ ٩٠، ٣/ ١٨٩، ٣/ ٢٣٧، ٤/ ٧، ٤/ ١٥١، ١/ ٢٩٠، ١/ ٢٩٠.

(١٥٣) بيان السعادة: ١/ ١٩٨.

(١٥٤) بحار الانوار، المجلسي: ١٠٢/ ١٦٥.

(١٥٥) مسند احمد: ١١/ ١٣٠، وينظر: الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج: ٨/ ٥٤.

ربما يطابق مضمون الآية المتقدمة وفق العدول الذي أشار إليه المفسر، ولا يحتاج إلى تقدير محذوف -مثلما قيل -ان المراد من ((يدعو الله...)) أي «أولياء الله وهم المؤمنون يدعون إلى الجنة»[١٥٦]، ومنهم من ذهب إلى أن لفظ الجلالة هو المراد على وجه الحقيقة غير مؤول من «حيث أمر بالتزوج بالمسلمة حتى يكون الولد مسلماً من أهل الجنة»[١٥٧] ولم يلحظ من كتب التفسير التي وردت في البحث أنها قد ألمحت إلى هذا الإيثار في الآية الكريمة.

ومن هذا الإيثار أيضا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾... ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة التوبة: ٦٧ -٧١].

فان ظاهرة التقابل بين الآيتين تبدو من الوضوح بمكان، وقد أشار له جملة من المفسرين[١٥٨]، لكن بدت للمفسر ملحظا في هذا التقابل لم يتعرض له المفسرون، وهو آيتا الجزاء للمؤمنين والمنافقين إذ عدل فيه من جملة اسمية إلى أخرى، وعلله الجنابذي قائلا: «أولئِكَ سَيَرحَمُهُمُ اللهُ في مقابل: إنَّ المُنافِقِينَ هُمُ الفاسِقُونَ، و ظاهر المقابلة يقتضي أن يقول: إنّ المؤمنين هم العادلون، أو هم المرحومون، أو يقول هناك: أولئك سيعذّبهم لكن لمّا كانت السّورة و الآية لتوعيد أهل الوعيد، ووعد المؤمنين، وكلّ ما ذكر فيها كان لتقريع أهل الوعيد، ولزيادة حسرتهم، والمناسب

(١٥٦) الكشاف: ١/ ٤٣٢، وينظر: مفاتيح الغيب: ٦/ ٤١٣.

(١٥٧) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري: ٢/ ٤٠٢، وينظر: فتح القدير، الشوكاني: ١/ ٢٢٤، ومعاني القرآن، النحاس: ١/ ١٨١، ومعالم التنزيل: ١/ ٢٥٦.

(١٥٨) الكشاف: ٣/ ٦٤، والتحرير والتنوير: ١٠/ ٢٦٢، وروح المعاني: ١٠/ ١٣٥.

لمقام الغضب، والوعيد التّسجيل بالوعيد، و التّغليظ بالتّأكيد والتّطويل، وكان النّفاق أصل جملة الشّرور والفسوق ومورث جملة العقوبات و كان نسبة الغضب إلى اللهّ بالعرض و نسبة الرّحمة إليه بالذّات، وكان المناسب لمقام الوعد التّسامح فيه والإتيان بـ(عسى)، ولعلّ، واداة التّسويف، والإيمان وان كان أساس جملة الخيرات لكن قد تنفكّ الخيرات عنه كما قال أَو كَسَبَت فِي إِيمانِها خَيراً أتى في الأول بجملة اسميّة مؤكّدة بالمؤكّدات الأربعة مفيدة للتّسجيل غير مصرّحة بنسبة الغضب إليه، و في الثّاني بجملة مصدّرة باسم الإشارة البعيدة تفخيما وإحضارا للأوصاف المذكورة للمؤمنين مختتمة بالجملة الفعليّة المصدّرة بأداة التّسويف المصرّحة بنسبة الرّحمة إليه تعالي»[١٥٩].

فذكر المفسر أن مراعاة سياق السورة بأجمعها وما فيها من وعيد، والإطالة فيه للتغليظ لإكثار التحسر ووعد المؤمنين وما يستجلبه الإيمان من النفع وغيرها من الأسباب التي ربما تربوا إلى ستة كانت المسوغ لإيثار قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ على ما يقتضيه التقابل من مثل انّ المؤمنين هم العادلون، أو هم المرحومون، وربما أشار جل المفسرين إلى أن السين تفيد وقوع الرحمة لا محالة[١٦٠]، قال تعالى: ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ [سورة الضحى: ٥]، ﴿ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡ ﴾ [سورة النساء: ١٥٢] مثلما تفيد وقوع الشر لا محالة، قال تعالى: ﴿ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴾ [سورة المسد: ٣].

وربما تعرض بعض المفسرين إلى وجوه أخرى في التقابل بين الآيتين، منها ما ذكر في وصف المنافقين ﴿ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖ ﴾، وأمّا ما جاء في وصف المؤمنين ﴿ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ ﴾، فقيل في سبب التغاير: إن الولاية بين المؤمنين تشعر بالإخلاص والتعاضد والنصر خلافا للمنافقين التي تشعر

(١٥٩) بيان السعادة: ٢/ ٢٦٧.

(١٦٠) تفسير البيضاوي: ٣/ ١٥٧، والتحرير والتنوير: ١٠/ ٢٦٢، وروح المعاني: ١٠/ ١٣٥.

بتوالدهم وتكثرهم مع امتداد صفة النفاق لهم[١٦١]، فهم جنس واحد[١٦٢]، قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [سورة نوح: ٢٧].

٣. إيثار الجملة الفعليـــة على الجملة الفعلية:[١٦٣]

ومن هذا النوع ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾[سورة هود: ٩ -١٠].

اختلف تعبير الآيتين المتقدمتين في نسبة الفعل إلى الله (عز وجل)، فليحظ أن الآية الأولى كانت نسبة الإذاقة ونزعها من الله تعالى خلاف الآية الثانية التي اختلفت في صيغتها التقابلية على غير المتبادر والإتيان بفعل الإذاقة فقط منسوب إلى الله تعالى؛ ولذا قال الجنابذي معللا هذا التغاير: «لَئِن أَذَقناهُ نَعماءَ بَعدَ ضَرّاءَ مَسَّتهُ كان حقّ العبارة أن يقول: و لئن أصبناه بضرّاء ثمّ كشفناها عنه حتّى يوافق قرينته، لكنّه تعالى أراد أن يفتتح القرينتين بنسبة الإنعام إليه، ولا ينسب مسيس الضّرّ الي نفسه؛ لأنه تابع لأعمال الإنسان»[١٦٤]، أي انه نسبة فعل الإذاقة إليه تعالى في الآيتين يومئ أن الله تعالى لا يأتي منه إلّا الخير والنعمة، وهو ما ذهب إليه أبو السعود من أن: «إسناد الأولِ إلى الله (عز وجل) دون الثاني، ما لا يخفى من الجزالة والدِلالةِ على أن مرادَه تعالى إنما هو إيصالُ الخير المرغوبِ فيه على أحسن ما يكون، وأنه إنما يريد بعباده اليُسرَ دون العسرِ»[١٦٥]، وعدم إسناد المس إليه كونه نتيجة ما

(١٦١) ينظر تفسير ابـن كثير: ٤/ ١٧٤، والتحرير والتنوير: ١٠/ ٢٦٢، تفسير أبي السعود: ٤/ ٨٢.

(١٦٢) ينظر: تفسير اللباب، ابن عادل: ١٠/ ١٤١.

(١٦٣) ومن شواهد هذا الايثار التي جاءت في تفسير بيان السعادة: ٢/ ١٧٢، ٢/ ٢٩٦، ٢/ ٣١٥، ٢/ ٣٢١، ٢/ ٣٨٩، ٣/ ١٢٤-١٢٥، ٣/ ١٥٩، ٣/ ٢١٨ فعل، ٣/ ٢٨٠، ٣/ ٢٩١.

(١٦٤) بيان السعادة: ٢/ ٣٢١.

(١٦٥) تفسير أبي السعود: ٤/ ١٩٠.

اكتسبت يد الإنسان زيادة على تعليم الأدب[١٦٦]، قال تعالى حكاية عن نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ [سورة الشعراء: ٧٩ -٨١]، فنسب المرض إليه تأدبا.

وربما أراد المفسر من قوله «أن يفتتح القرينتين بنسبة الإنعام إليه» أن تصدر الإذاقة كانت هي المقصود أي المقصودة بالذات وان المس كان عرضيا[١٦٧].

وقول بعض المفسرين عن «ملابسة الضراء بالمس المشعر بكونها في أدنى ما يطلق عليه اسم الملاقاة من مراتبها من اللطف ما لا يخفى»، أي «إنما ينالهم ذلك بسوء اختيارِهم نيلاً يسيراً كأنما يلاصقُ البشرَةَ من غير تأثيرٍ»[١٦٨]، يخالف ما ذهب إليه الراغب (٤٢٥هـ) من أن المس يطلق عادة في كل ما يستجلب الأذى، إذ قال: «والمس يقال في كل ما ينال الإنسان من أذى»[١٦٩]، وقال البيضاوي: «المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به»[١٧٠]، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ [سورة البقرة: ٨٠]، وقال: ﴿ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ ﴾ [سورة البقرة: ٢١٤]، وقال: ﴿ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴾ [سورة القمر: ٤٨]، ﴿ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٣]، وغيرها كثير.

ومن هذا الإيثار أيضا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [سورة الاعراف: ١١]، آثر في هذه الآية ﴿ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ على غيرها من الأقوال المحتملة، فعلل المفسر ذلك قائلا «لم يقل (لم يسجد) أشارة إلى أن فطرته كانت فطرة العتو والاستكبار، وانه لم يكن من سنخ الساجدين، ولا يمكنه

(١٦٦) ينظر: نظم الدرر، البقاعي: ٩/ ٢٤٣
(١٦٧) ينظر روح المعاني: ١٢/ ١٥.
(١٦٨) تفسير أبي السعود: ٤/ ١٩٠.
(١٦٩) المفردات، الراغب الاصفهاني: ٦١٢-٦١٣.
(١٧٠) تفسير البيضاوي: ١/ ٣٥٠.

السجود إلّا بتبديلها، ولذا ورد انه لم يكن من المأمورين بالسجود، وادخل نفسه في المأمورين»[١٧١]، أي أن النفي الذي آثره القرآن الكريم كان نفيا قاطعا نابعا من سجية وخلق ابليس؛ إذ أن السياق المورد لهذا النفي هو اشد مما لو قيل مثلا (لم يسجد)؛ لكون التركيب القرآني الذي ضم وجود (كان) في السياق مع اسم الفاعل والتي يعطي وصفا دائما[١٧٢] يؤول إلى رسوخ الصفة في نفس صاحبها خلقا وخُلُقا[١٧٣]، زيادة على ذلك ان الدلالة الزمنية لهذا التركيب يضفي دلالة الاستمرار الزمني إن لم يكن مطلق الزمن[١٧٤].

ويضاف أيضا أن هذا التركيب هو اشد مما لو قال مثلا (لم يكن ساجدا)، قال ابن عاشور: «وفي اختيار الإخبار عن نفي سجوده بجعْلِه من غير السّاجدين: إشارة إلى أنّه انتفى عنه السّجود انتفاء شديداً لأنّ قولك لم يكن فلان من المهتدين يفيد من النّفي أشدّ ممّا يفيده قولك لم يكن مُهتدياً»[١٧٥]، ولذا أفاد بعض المفسرين من الآية المتقدمة لينتهي به القول إلى: «أنه لم يصدر منه السجود مطلقاً لا معهم ولا منفرداً»[١٧٦].

٤. إيثار الجملة الفعلية على الجملة الاسمية:[١٧٧]

وهذا النوع يؤثر فيها الجملة الفعلية على الجملة الاسمية، وكان المتبادر أن توضع هذه الاخيرة لكن لعلة بيانية عدل عن المتبادر، وما يلحظ في مثل هذا ما جاء في الذكر الحكيم، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ١٠٠ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَ﴾ [سورة هود: ١٠٠ -١٠١]، قال

(١٧١) بيان السعادة: ٢/ ١٧٢.
(١٧٢) ينظر: معاني النحو: ١/ ١٩٢.
(١٧٣) ينظر: نظم الدرر: ١٦/ ٢٩٣.
(١٧٤) ينظر: الدلالة الزمنية للجملة العربية في القران الكريم، د. نافع الجبوري: ٣٣٠.
(١٧٥) التحرير والتنوير: ٨/ ٣٩.
(١٧٦) روح المعاني: ٨/ ٨٧.
(١٧٧) ومن شواهد هذا الايثار التي جاءت في تفسير بيان السعادة: ١/ ١٠٤، ١/ ١٣٠، ٢/ ١٤٣، ٣/ ٥٤، ٢/ ٣٣٧-٣٣٨، ٤/ ٣٧، ٤/ ٦٢.

المفسر: «ما ظَلَمناهُم عطف لدفع توهّم أن حصادهم و استيصالهم بالكلّيّة ظلم من اللهّ وَ لكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُم بارتكاب ما جلب عليهم العذاب من دعاء غير اللهّ و شنائع الأعمال، يظنّ أن الأليق بسياق هذه العبارة أن يقال: وما نحن ظلمناهم و لكنّهم ظلموا أنفسهم؛ لأنّه إذا أريد نفي الفعل عن فاعل و إثباته لفاعل آخر يؤتي بالفاعل المنفيّ عنه عقيب أداة النّفي و بالفاعل المثبت له عقيب اداة الاستدراك، لكنّه تعالى أراد أن يشير إلى انّه لم يكن في الاستيصال ظلم بل كان عدلا، وإنما الظّلم كان أفعالهم الشّنيعة المؤدّية الي الاستيصال، فنفي في الأول أصل الظّلم بواسطة الاستيصال واثبت ظلما آخر سوى الاستيصال لهم»[178]، فأشار المفسر أن التعبير بالجملة الاسمية يؤدي في المعنى نفي الظلم عن الله سبحانه وتعالى، واثبات الظلم لهم بطريق قصر الصفة على الموصوف، ولم يكن هو المطلوب هنا، وإنما الذي أُريد في سياق الجملة الفعلية هو نفي الظلم مطلقا من غير أن يراد به نفيه عن الفاعل أو المفعول، وهو ما ذهب إليه أبو السعود[179]، والالوسي[180] في هذه الآية (آية هود) خلال تفسيره لقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ [سورة يونس: ٤٤]، ففيها جيء بالجملة الاسمية –مع وضع الظاهر بدل المضمر –وهو لفظ الناس –لأجل الزيادة في التعيين والتقرير–ليقصر الظلم عليهم[181].

ومن إيثار الجملة الفعلية ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٦٢ –٦٣] قال الجنابذي: «لمّا كان السّؤال عن الفاعل بعد كون الفعل مسلّم الوقوع كان الموافق للجواب أن يقول: بل كبيرهم فعل ليكون اثباتا للفعل المسلّم للكبير ونفيا له عن غيره، لكنّه قدّم

(١٧٨) بيان السعادة: ٢/ ٣٣٧ –٣٣٨.

(١٧٩) ينظر: تفسير أبي السعود: ٤/ ١٤٩.

(١٨٠) ينظر: روح المعاني: ١٠/ ١٣٥.

(١٨١) ينظر: تفسير أبي السعود: ٤/ ١٤٩.

الفعل؛ لأنّه أراد أن يبرز الفعل مبرز المفروض، لانّ هذه القضيّة من القضايا الفرضيّة المتداولة في العرب والعجم، والأنسب بالقضايا الفرضيّة أن يكون الفعل فرضيّا أيضا فانها في التّقدير هكذا بل فعله كبيرهم إن كان ما تقولون من انّهم آلهة حقّا؛ لانّ كسر الإله لا يتمشّي الّا من الإله ولانّ الكبير ينبغي أن ينفي الغير عن الآلهة و يكسره لاقتضاء كلّ منهم التّفرّد بما فيه كماله، و قيل: إنها قضيّة مفروضة و شرطها قوله إن كانوا ينطقون»[١٨٢].

تعد هذه الآية الكريمة من الإشكالات التي طرحها علماء النحو والبلاغة إذ يقولون: إن الذي يلي الهمزة هو المشكوك في وقوعه ولا بد أن تكون الاجابة بتقديمه أولا سواء أكانت الهمزة للتقرير أم للاستفهام، فمثلا لو قيل: (أزيد قام)، كان الشك في فاعل هذا القيام هل هو زيد أم غيره، وان قيل: (أقام زيد) كان الشك في أصل القيام[١٨٣]،

وهذه الآية كانت خلافا لهذا المعهود، أي «أن السؤال وقع عن الفاعل لا عن الفعل ومع ذلك صدر الجواب بالفعل مع أنهم لم يستفهموا عن كسر الأصنام، بل كان عن الشخص الكاسر لها»[١٨٤]، وبذلك ذهب بعضهم إلى احتمال التقدير أو الحذف، فقال السيوطي (٩١١هـ): وأجيب بأن الجواب مقدر دل عليه السياق؛ لان بل لا تصلح أن يصدر بها الكلام والتقدير ما فعلته بل فعله»[١٨٥]، وربما عمد بعضهم للاحتراز من مخالفة قياس النحويين إلى أن يجعل الكلام خارجا عن الاستفهام، أو التقرير[١٨٦]، مستدلين على هذه الآية ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ وليكون متماشيا مع ما تبنوه من كون القاعدة النحوية فوق كل النصوص وبذا عمد بعض المفسرين إلى

(١٨٢) بيان السعادة: ٣/ ٥٤.

(١٨٣) ينظر: مغني اللبيب: ١/ ٢٦، الايضاح: ٣/ ٧١، الدر المصون: ١/ ٣٠٤، وتفسير البحر المحيط، ابو حيان التوحيدي: ٧/ ٤٤٨.

(١٨٤) البرهان في علوم القرآن: ٤/ ٥٠.

(١٨٥) الاتقان: ٢/ ٣٧٤، وينظر: البحر المحيط: ٧/ ٤٤٧.

(١٨٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٤/ ٥١، والمغني.

تبني القاعدة النحوية وتوجيهاتهم[١٨٧].

لكن بعضهم اقر أن الراجح فيها هو التقرير قال الطباطبائي «ءأنت فعلت هذا بالهتنا يا إبراهيم» الاستفهام -كما قيل -للتقرير بالفاعل فإن أصل الفعل مفروغ عنه معلوم الوقوع»[١٨٨]، وقد تبنى الجانبذي هذا الوجه متفردا بنكتة العدول هذه وربما لحظ عند قليل من المفسرين توجيه هذا الاستفهام على انه زيادة في الاستهزاء والتبكيت قال البيضاوي في احد الاحتمالات «أو تقريراً لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على أسلوب تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق: أأنت كتبت لهذا، فقلت بل كتبته أنت»[١٨٩]، وقد زاد أبو السعود على هذا معنى آخر، وهو أن «مراده توجيهُهم نحو التأملِ في أحوال أصنامهم»[١٩٠]،

(١٨٧) البرهان في علوم القرآن: ٤/ ٥٠، الدر المصون: ٨/ ١٧٧، والبحر المحيط: ٧/ ٤٤٧.

(١٨٨) تفسير الميزان: وروح المعاني: ١٧/ ٦٤.

(١٨٩) وينظر: تفسير البيضاوي: ٤/ ٩٩.

(١٩٠) تفسير أبي السعود: ٦/ ٧٥.

وهذا الشاهد يبين ما قال الجواري من أن «أساليب التعبير القرآني تهد منها كثيرا ما أراد النحو أن يفرضه على أساليب العربية»[١٩١].

٥. الإيثار في الجمل المتشابهة (الآيات المتشابهة):[١٩٢]

إن ما يراد من الجمل المتشابهة هو أن ترد الآيات أو بعض جملها في موضع ما مشابهة لغيرها في موضع أخر، والذي يعبر عنه بالتشابه اللفظي، وقد حده الزركشي فقال: «هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء»[١٩٣]، وله أنواع وأقسام تفصلها كتب البلاغة[١٩٤]، أو كتب علوم القران[١٩٥]. وقد لحظ عند

(١٩١) نحو القرآن د. عبد الستار الجواري: ١٢.

(١٩٢) ومن شواهد هذا الايثار التي جاءت في تفسير بيان السعادة: ١/ ٣٠٩ -٣١٠، ٢/ ٥٣، ٢/ ٥٩، ٣/ ٥، ٣/ ٢٤، ٤/ ١٦-١٧، ٢/ ١٩، ٣/ ١٠١.

(١٩٣) البرهان في علوم القرآن: ١/ ١١٢.

(١٩٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١/ ١١٢-١٢٢..

(١٩٥) ينظر: الاتقان: ٣/ ٣٩٠.

المفسر انه وقف عند هذه الآيات مبينا ومعللا وجه الإيثار فيها.

منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٢]، وقال جل وعلا في موضع اخر ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٤]، فلحظ المفسر أن الآية الأولى من قوله (عز وجل) ﴿ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ ﴾ خلت من الفاء خلافا للثانية فقال مبينا لهذا التباين: «لم يات بالفاء ههنا، واتى بها في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ ﴾؛ لان ههنا بيان بطلان الصدقة بالمن والأذى ولذلك بسط بعدا في الإنفاقات الباطلة، ولم يكن المقصود ترتب الأجر على الإنفاق حتى يأتي بالفاء المؤكدة للترتب، بخلاف ما ياتي، فان المقصود هناك بيان ترتب الأجر وناسبه الإتيان بمؤكدات التلازم»[١٩٦]، أي أن الآية الأولى كان المراد منها أن تجعل قاعدة ومسلكا لمن يقصدون سبيل الإنفاق في سبيل الله تعالى مشروطة بخلوصها من المن والأذى، كما لو قيل مثلا (من انفق من غير منٍّ وأذى له أجره)، أو (من عمل معروفا لوجه الله له ثواب كذا)، وبعبارة أخرى انه أراد في الآية التي خلت من الفاء الإشارة إلى عنوان عام ومفهوم كلي، خلافا للثانية التي أريد منها تحقيق الأجر لفاعل الإنفاق.

وربما يقترب هذا المعنى مما ذكره ابن عرفة والبيضاوي، قال ابن عرفة: «انه لما قصد هناك الإخبار بأن مطلق الإنفاق في سبيل الله (يلزمه) الأجر قلّ أو كثر دخلت الفاء تحقيقا للارتباط، ولما كان المراد هنا إنفاقا خاصا على وجه شبيه بحسنة موصوفة بهذه الصفة وأكدت خصوصية سلامته من المن والأذى كان ترتيب الأجر عليه كالمعلوم بالبديهة وكالمستفاد من اللفظ فلم يحتج إلى ما

(١٩٦) بيان السعادة: ١/ ٢٢٩.

يحقق الارتباط»[١٩٧].

لكن بعض الباحثين ارتأى في الآية الثاني التي دخلت فيها الفاء وجها اخر معللا أن دخولها كان مطلوبا نتيجة السياق لما فيها من التفصيل والتوكيد من خلال قوله تعالى ﴿ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ﴾ فاقتضى السياق تأكيدا آخر؛ لذا اجتلبت هذا الفاء[١٩٨].

غير أن ما يقال: من أن هذه الفاء تضمنت معنى السببية وقد خلت الآية الأولى منها لكون ترتب الأجر في الإنفاق من غير هذين الصفتين أمرا بديهيا لا يحتاج إلى سبب يدل عليه، خلافا للآية الثانية التي أريد منها بيان السبب[١٩٩]، أو ما قيل: إن الآية الأولى كان الاسم الموصول فيها لم يتضمن معنى الشرط خلافا للثاني مما أدى إلى اقتران الآية الثانية بالفاء وعدمها في الأولى[٢٠٠]، فكلا الرأيين يثير تساؤلا مفاده:

لماذا احتيج إلى السبب في الآية الثاني ولا نحتاجه في الأولى.

وفي الوجه الآخر يقال:

لماذا تضمن الموصل في الآية الثانية معنى الشرط ولم يتضمن الموصل في الأولى؟.

مما يستدعي أن ترجيح الوجوه الأولى يبدو هي الأقرب من غيرها.

ومن هذا الإيثار أيضا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ١٥٧ وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ [سورة ال عمران: ١٥٧-١٥٨]، ففيها تقديم القتل في الآية الأولى، وتأخيره في الثانية، والعكس إذا نظر إلى الموت يرى الجنابذي: أن التقديم في «الآية الأولى للاهتمام به في ترتب الجزاء بخلاف الآية الثانية فان ترتب الجزاء فيها لا خصوصية للقتل فيه والموت هو الفرد الشائع من الشرط، فالاهتمام بتقديمه أكثر»[٢٠١]، أي أن الجزاء الذي ذكر في

(١٩٧) تفسير ابن عرفة، ابن عرفة: ٢/ ٤٧٤، وينظر: تفسير البيضاوي: ١/ ٥٦٦.

(١٩٨) ينظر: اسرار البيان في التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي: ٨٦.

(١٩٩) ينظر: تفسير أبي السعود: ١/ ٢٥٨.

(٢٠٠) ينظر: الكشاف: ١/ ٤٩٥.

(٢٠١) ١/ ٣٠٩-٣٢٠.

الآية الأولى وهي المغفرة والرحمة من الله تناسب الذي يقتل في سبيل الله؛ لأنه كان معرضا عن الدنيا طالبا لخالقه، فلا بد أن يجازي الله من كان يطلبه؛ ولذا قال المفسر أن تقديم القتل كان للاهتمام به لترتب الجزاء، واليه ذهب بعض الباحثين[٢٠٢] والمفسرين، قال ابن عاشور: «وقُدّم القتل في الأولى والموتُ في الثانية اعتباراً بعطف ما يظنّ أنّه أبْعد عن الحكم فإنّ كون القتل في سبيل الله سبباً للمغفرة أمر قريب، ولكن كون الموت في غير السبيل مثل ذلك أمر خفي مستبعد»[٢٠٣].

وأمّا تقديم الموت لكونه الحال الشائعة في جنس الإنسان، فكان هو الأكثر، فلا بد من الاهتمام به، وجزاء الآية يبين الحقيقة الإلهية، وهي أن الناس محشورون إلى الله تعالى، فلا خصوصية للقتل لو قدم مع جزاء الآية وبخاصة أن الآية أريد منها الوعظ والتزهيد، قال ابن عطية: «قدم الموت... لأنها آية وعظ بالآخرة والحشر، وآية تزهيد في الدنيا والحياة، والموت المذكور فيها هو موت على الإطلاق في السبيل وفي المنزل وكيف كان، فقدم لعمومه وأنه الأغلب في الناس من القتل»[٢٠٤]، ويكاد يتفق الثعالبي[٢٠٥]، والالوسي[٢٠٦]، والطباطبائي[٢٠٧]، وغيرهم في علة إيثار هذا التقديم والتأخير.

الخاتمة:

بينت هذه الدراسة جهد احد المفسرين الذين جلسوا مع القرآن لفهم مقاصده وبلاغته وصياغته التي علت كل لسان منذ مئات السنين حتى يومنا هذا، بل انه يمتد الى نهاية الخلق لانه كلام لا متناهي صادر من اللامتناهي وهو الله (عز وجل).

ما لحظ من خلال تتبع آراء الجنابذي اللغوية في بيان الأساليب والجمل القرآنية ان قد تفرد بكثير من العلل لم

(٢٠٢) ينظر: التعبير القرآني: ٦٢

(٢٠٣) التحرير والتنوير: ٤/ ١٤٣.

(٢٠٤) المحرر الوجيز: ١/ ٥٣٨.

(٢٠٥) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ١/ ٣٢٦.

(٢٠٦) ينظر: روح المعاني: ٤/ ١٠٥.

(٢٠٧) ينظر: الميزان: ٤/ ٤٨.

تلحظ عند باقي المفسرين الذين سبقوه، وقد وظف جملة من العوامل في بيانه كان من أهمها السياق القرآني وعلم المنطق والأصول والفلسفة والعرفان، زيادة على ثقافته اللغوية وذائقته البلاغية.

فاظهر من خلال دراسة الأساليب والجمل دقة التعبير القرآن وانه ما وضع لفظ إلّا لغاية قد لا تدرك لأول وهلة ومن غير تفحص، ولذا كان يتعمد بان يأتي بالصيغ المتناظرة ليظهر دقة الفرق بين الأسلوب أو الجملة المحتملة وبين ما هو منصوص في القرآن الكريم.

وقد اثبت أن التغير الذي يحدث في الأساليب والجمل، والذي يكون خلاف ما يتوقعه قارئ القرآن أو سامعه لا بد انه ينبئ عن علة لغوية أو بلاغية فيعمدا حيانا الى توضيحها، وأحيانا أخر يطلق العنان للقارئ أن يتمعن ليضفي عليه خلده ما شاء من الصور البلاغية لكون آفاق العبارة تتسع عن أن يحصيها متكلم.

ثم إن التفرد ببعض العلل –والتي أشرت لها آنفا –يبين انه كان ذا رأي خاص، ولم يكن ناقلا لغيره، بل انه كان مجتهدا في تذوق العلة التعبيرية.

وأخيرا أود القول أن البحث في كتب التفاسير وفي علل التعبير القرآني خاصة قد ترفد المكتبة القرآنية في ما لو جمعت هذه البحوث والرسائل لتخرج لنا كتابا لا تنفك فيه كل كلمة من القرآن أو عبارة إلّا وفيها نكتة بلاغية أو لغوية أو أدبية؛ لان هذا الكتاب المزعم سينم عن جملة العقول والثقافات التي درست القرآن وتدارسته.

أهم روافد البحث:

القرآن الكريم.

- أساليب المعاني في القرآن: السيد جعفر السيد باقر الحسيني، ط/ ١، مؤسسة بوستان كتاب، إيران، ١٤٢٨هـ.
- اسرار البيان في التعبير القراني: الدكتور فاضل صالح السامرائي، د–ط، د–م/ د–ت.
- الإيضاح في علوم البلاغة: للخطيب القزويني (٧٣٩هـ)، شرح وتعليق وتنقيح: د. محمد عبد المنعم خفاجي، ط/ ٣، المكتبة الأزهرية

للتراث، د-م، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- البديع: عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ)، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس: إغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسيرة، ط ٣، بيروت-لبنان، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- البرهان في علوم القران: للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/ ١، دار التراث، القاهرة-مصر، د-ت.
- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن: كمال الدين عبد الواحد عبد الكريم الزملكاني (ت ٦٥١هـ)، تحقيق: د. خديجة الحديثي و د. أحمد مطلوب، مطبعة العاني، ط/ ١، بغداد - العراق، ١٩٧٤م.
- بهج الصياغة في شرح نهج البلاغة: للشيخ محمد تقي التستري (١٤١٤هـ)، ط/ ١، سبهر، طهران-إيران، ١٤١٨هـ.
- بيان السعادة في مقامات العبادة: سلطان محمد الجنابذي، د-ط، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، د-ت.
- التعبير القرآني: د.فاضل صالح السامرائي، دار عمار، ط ٥، عمان - الأردن، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- التفسير والمفسرون: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (١٣٩٨هـ)، د-ط، مكتبة وهبة، القاهرة-مصر، د-ت.
- الجملة العربية تاليفها واقسامها: د. فاضل صالح السامرائي، ط/ ٣، دار الفكر، د-م، ٢٠٠٩ م.
- شرح كتاب الحدود في النحو: لعبد الله بن احمد الفاكهي النحوي (٩٧٢هـ)، تح: د. المتولي رمضان احمد الدميري، ط/ ٢، مكتبة وهبة، القاهرة-مصر، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: محمّد رضوان الداية وفايز الداية،، ط/ ١، دار الفكر، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

- الدلالة الزمنية للجملة العربية في القرآن الكريم: د. نافع علوان بهلول الجبوري، ط/ ١، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد – العراق، ١٤٣٠هـ –٢٠٠٩م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: احمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (٧٥٦هـ)، تح: د. احمد محمد الخراط، د –ط، دار القلم، دمشق –سوريا، د –ت.
- رسم المصحف ونقطه: عبد الحي حسين الفرماوي، ط/ ١، المكتبة المكية، مكة المكرمة –المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٤م.
- شروح التلخيص: سعد الدين التفنزاني، د –ط، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، د –ت.
- شرح المفصل: للشيخ موفق الدين بن علي بن يعيش (٦٤٣هـ)، صححه وعلق عليه جماعة من العلماء بعد مراجعته على أصول خطية مشيخة من الأزهر، د –ط، إدارة الطباعة المنيرية بمصر، د –ت.
- الطراز لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الايجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني (٧٤٩هـ)، د–ط، مطبعة المقتطف، مصر، ١٩١٤م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو عليّ الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق: محمّد عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب العلميّة، ط ١، بيروت –لبنان، ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (٧٢٨هـ)، تح: الشيخ زكريا عميران، ط/ ١، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ١٤١٦ هـ –١٩٩٦ م.
- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠هـ)، د –ط، دار الفكر، بيروت –لبنان، د –ت.
- الكشف والبيان المعروف بـ(تفسير الثعلبي): للإمام أبي إسحاق احمد المعروف بالإمام الثعلبي (٤٢٧هـ)، دراسة وتحقيق: الإمام أبي محمد

الطاهر بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط/ ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت -لبنان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- اللباب في علوم الكتاب: للإمام أبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحلبي (٨٨٠هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ على محمد معوض، ط/ ١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، تح: يوسف علي بديوي، ط/ ١، دار الكلم الطيب، بيروت - لبنان، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨ م.
- معالم التنزيل: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٦ هـ)، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، ط/ ٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، د-م، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، ط/ ٢، دار الفكر، عمان-الأردن، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- معاني القرآن الكريم: أبو جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ هـ، تح: محمد علي الصابوني، ط/ ١، مركز احياء التراث الاسلامي، مكة المكرمة -المملكة العربية السعودية، ١٩٨٨م.
- من اساليب التعبير القراني: د. طالب محمد اسماعيل الزوبعي، ط/ ١، دار النهضة العربية، بيروت -لبنان، ١٩٩٦م.
- من بلاغة القرآن: د. احمد احمد بدوي، د-ط، نهضة مصر، القاهرة-مصر، ٢٠٠٥م.
- نحو المعاني: د. احمد عبد الستار الجواري، د. ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت -لبنان.
- النظام النحوي في القرآن الكريم-دلالة النظام النحوي -: الدكتور عبد الوهاب حسن حمد، ط/ ١، دار صفاء، عمان -الاردن، ٢٠١٠ م.